

مجموعة نقشجم العِلميّة

إصـــدارة رقم (١)

الوعــظ الثميــن

في تعمير أعصار رمضان الثلاثين

تأليف

الإمام السيد محمد عثمان الميرغني (الختم)



الوعظ الثمين

في تعمير أعصار رمضان الثلاثين

تأليف
الإمام السيد محمد عثمان الميرغني (الختم)

رمضان ١٤٣٩هـ - مايو ٢٠١٨م

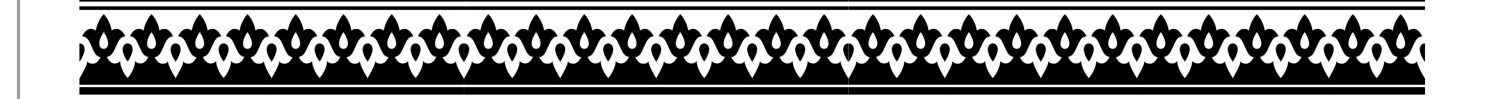
قَالَ تَعَالَىٰ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يونس : ٥٧

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

النحل : ١٢٥



مُقدِّمة

الحَمْدُ للّـه الَّذِي جَعَلَ المَوَاعِظَ وَالتّذْكَارَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُنَشِّطُ بِهِ الهِمَمَ ، وَيَدْفَعُ التَّقْصِيرَ ، وَأَشَارَ إِلَى أَسْرَار ذَلِكَ فِي كِتَابَهِ المُبَيِّنِ ، بِقَوْلِهِ : ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ، وَفِي الحَدِيثِ : (أَحَبُّ عِبَاد اللّـه إِلَى اللّـه أَنْفَعُهُمْ لِعِبَادِهِ) ، وَقَالَتْ الصحابة رِضْوَانَ اللّـه عَلَيْهُمْ : كَانَ النَّبِيّ ﷺ يتخولنا بِالمَوَاعِظِ خَوْف السَّآمَة ، وَأَحْسَنُ مَا تَتَّعِظُ بِهِ الأَفْئِدَةُ وَيَفْتَحُ البَصَائِرَ فِي مِثْلِ هَذَا المِنْوَالِ السُّنَّةَ وَالأَثَرَ الفَاخِرَ ، فأحمـدُ مَنْ أَطْلَعْنَا عَلَى بَعْضٍ مَنْ هَذَا النَّسْجُ الحَسَن ، وَأَشْكُرُ مِنْ هَدَانَا إِلَى نَهج السُّنَّةِ ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّم عَلَى مَنْ كَانَ تَنْبِيهَ العِبَادِ قَصْدَهُ ، وَ أَتَّبِعُ آلَهِ وَصَحْبه ، فَهُمَا المُتَأَهِّبُونَ لِيَوْمٍ المِعَادِ ، وَ صَلَاةً وَسَلَاماً مَا اِتَّعَظَ وَاعِظٌ بِوَعْظِهِ ، وَمِنْ سَمِعَ مِنْهُ وَاِسْتَفَادَ.

(أما بَعدُ) : فقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ تَنْبِيهِ الغَافِلِين ، و أَنَا الحَقِيرُ إِلَى اللَّـه تَعَالَى ، الميرغني مُحَمَّد عُثمَان ابن السَّيِّد مُحَمَّد أَبو بَكْر ، أَصْلَحْنا المُعِين ، وَ رَأيتُ غَايَة العَظْمَةِ فِي وَعْظِ المُسْلِمِين ، وَ قَدْ جَعَلَهُ مُؤَلِّفه أَرْبَعَة وَتِسْعِينَ بَاباً ، فَأَرَدْتُ أَنْ اسْتَخرِج مِنْهَا تِسْعَةً وَعِشْرِين بَاباً ، وَكَيْفِيَّة اِسْتِخْرَاجِهَا اِلْتِقَاطاً مِنْ الكِتَابِ بِأَنْ آخُذَ زُبْدَتَهَا فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ التِّسْعَةِ وَالعِشْرِينَ خَوْفَ الإِطْنَاب وَأَخْتِمُ الكِتَابَ بِبَابٍ اِلْتَقَطْتُهُ مِنْ أَبْوَابِ أَصلِ الكِتَابِ المَحْذُوفَة ،

فَتصِيرُ الجُمْلَةُ ثَلاثِينَ بَاباً ، وَ قَصْدِي بِذَلِكَ أَيَّامَ رَمَضَانَ الثَّلَاثِين ، لِكَوْنِ المَجَالِسِ تَحْتَوِي عَلَى عَوَامٍ وَأَعْيَان ، فَيَتَذَاكَرُونَ فِي عَصْرِ كُلَّ يَوْم مِنْ ذَلِكَ الشَّهْرَ الرَّئِيسُ بِمِثْلِ هَذَا الكِتَابِ النَّفِيسِ ، مَعَ إِنِّي لَسْتُ أَهْلاً لِلتَّأْلِيفِ وَالتَّدْرِيسَ ، وَلَكِنَّ هَكَذَا دَعَاوِي أَهْل التَفلْيس ، وَسَمِّيَّتُهُ : (الوَعْظ الثَّمِين فِي تَنْبِيهِ جُلِّ المُؤْمِنِينَ ، وَتيَقُّظُ جُمْلَةِ الإِخْوَانِ فِي تَعْمِيرِ أَعْصَارِ رَمَضَانَ) ، فِيمَا يَخْتَزِنُ لسائر العُمْرَ مِنْ العِلْمِ وَالعَمَلَ العَظِيمَانِ ، فَأَقُولُ :

البَابُ الأَوَّلُ

في فضل رمضان

عَنِ عبد اللَّـه بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـه عَنْهُمَا ، قال : قال رَسُولُ اللَّـه ﷺ : (الْجَنَّة تتزَيَّن مِنَ الْحَوْلِ إِلَى الْحَوْلِ ، لِقُدُوم شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَإِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْهُ ، هَبَّتْ رِيحٌ يُقَالُ لَهَا الْمُثِيرَةُ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ ، فَيُصَفِّقُ وَرَق أَشْجَارِ الْجَنَّةِ وَحِلَقَ الْمَصَارِيعِ ، فَيُسْمَعُ لِذَلِكَ طَنِينٌ لَمْ يَسْمَعِ السَّامِعُونَ أَحْسَنَ مِنْهُ ، و تتزَيَّن الْحُور الْعِين ، ويرقصن بين شُرَفِ الْجَنَّةِ ، فَيُقُلْنَ : هَلْ مِنْ خَاطِبٍ إِلَى اللَّـه عزّ وجلّ ، فَيُزَوِّجَهُ مِنَّا ، ثُمَّ يَقُلْنَ : يَا رَضْوَانُ مَا هَذِهِ اللَّيْلَةُ ؟ ، فَيَقُولُ : يَا خَيْرَاتِ حِسَانٍ ، هَذِهِ أَوَّلُ من رَمَضَانَ ، الذي فضّل اللَّـه به مُحَمّداً ﷺ ، ثمّ يَقُولُ اللَّـه عزّ وجلّ : (يَا رَضْوَانُ ، افْتَحْ أَبْوَابَ الْجِنَانِ ، و يَا مَالِكُ أَغْلِقْ أَبْوَابَ النيران ، يَا جِبْرِيلُ اهْبِطْ إِلَى الْأَرْضِ فَصَفِّدْ مَرَدَةَ الشَّيَاطِينِ ، وَغُلَّهُمْ بِالْأَغْلَالِ ، ثُمَّ اقْذِفْهُمْ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ ، حَتَّى لَا يُفْسِدُوا عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صِيَامَهُمْ ، وَ يَقُولُ ا للَّـه عزّ وجلّ ، فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ أُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ، ثُمَّ يُنَادِي : مَنْ يُقْرِضُ الْمَلِيَّ غَيْرَ الْعَدُومِ الْوَفِيِّ غَيْرِ الْمظْلُومِ) ، الحديث .

وَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : (أُعْطِيَتْ أُمَّتِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ خَمْسَ خِصَالٍ ، لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ قَبْلَهَا : خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ

اللَّـه أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ الأذفر ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُفْطِرُوا ، وَتُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ ، فَلَا يَخْرجُونَ فِيهِ إِلَى مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي غَيْرِهِ من الشُهُورِ ، وَيُزَيِّنُ اللَّـه كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ ، وَيَقُولُ لَهَا : يُوشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ تُلْقَى عَنْهُمُ الْمئونَةُ وَالْأَذَى ، وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ منه ، مثل ما غفر لهم من أول الشهر إلى آخره ، فقيل : يا رسول اللَّـه ، أَهِيَ ليلة القدر ، فقال : لا ، ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله) .

وَ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم ، آخِرَ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ ، فَقَالَ : (أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ ، فِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، التي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، فَرَضَ اللَّـهُ تَعَالَى صِيَامَهُ ، وَجَعَلَ قِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعاً ، فَمَنْ تَطَوَّعَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ ، كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً ، كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ ، وَهُوَ شَهْرُ الْمُوَاسَاةِ ، وَشَهْرٌ يُزَادُ فِيهِ رِزْقُ الْمُؤْمِنِ ، فمَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِماً ، كَانَ لَهُ عِتْقَ رَقَبَةٍ ، وَمَغْفِرَةً لِذُنُوبِه) ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّـهِ ، لَيْسَ كُلُّنَا يَجِدُ مَا يُفَطِّرُ بِهِ الصَّائِمَ ، قَالَ : (يُعْطِي اللَّـهُ هَذَا الثَّوَابَ لِمَنْ فَطَّر صَائِماً عَلَى مَذْقَةِ لَبَنٍ ، أَوْ شَرْبَةٍ من مَاءٍ ، أَوْ تَمْرَةٍ ، وَمَنْ أَشْبَعَ صَائِماً كَانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ ، وَسَقَاهُ اللَّـهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ ، وَكَانَ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ

رَحْمَةٌ ، وَ أَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ ، وَآخِرُهُ عِتقٌ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ خَفَّفَ عَنْ مَمْلُوكِهِ ، أَعْتَقَهُ اللَّـه مِنَ النَّارِ) .

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : (رَجَبُ شَهْرُ أُمَّتِي ، وَفَضْلُهُ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ كَفَضلِ أُمَّتِي عَلَى سَائِرِ الأُمَمِ ، وَشَعْبَانُ شَهرِي ، وَفَضْلُهُ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ كَفَضْلِي عَلَى سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ ، وَ رَمَضَانُ شَهْرُ اللَّـهِ ، وَفَضْلُهُ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ كَفَضْلِ اللَّـه عَلَى خَلْقِهِ) .

وَ عن أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ رضي الله عنه ، قَالَ : لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ من رمضان ، قَامَ رسول اللَّـه ﷺ ، فَصَلَّى حَتَّى مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْنَا ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ ، خَرَجَ إِلَيْنَا فصَلَّى بِنَا شَطْرُ اللَّيْلِ ، فَقُلْتُ : لَوْ تُنَفِّلْنا لَيلَتَنَا هَذِهِ ، فَقَالَ : (إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ ، كُتِبَ لهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ) ، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّي لَيْلَةِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينِ ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ سبع و عِشْرِينَ قَامَ وَجَمَعَ أَهْلَهُ وَصَلَّى بِنَا حَتَّى خَشِينَا الْفَلَاحُ ، قيل : وَمَا الْفَلَاحُ ، قَالَ : (السَّحُورُ) .

وَ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، قَالَ : إِنَّمَا أَخَذَ عُمَر هذه التَّرَاوِيحَ مِنْ حَدِيثٍ سَمِعَهُ مِنِّي) ، قَالُوا : وَمَا هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ ، يَقُولُ : (إِنَّ لِلَّـهِ حَوْلَ الْعَرْشِ مَوْضِعاً يُسَمَّى حَظِيرَةُ الْقُدْسِ ، وَهُوَ مِنَ النُّورِ ، فِيه مَلَائِكَةٌ لا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْبُدُونَ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ ،

يعبدُون عِبَادَةً لَا يَفْتُرُونَ عنها سَاعَةً ، فَإِذَا كَانَ فِي لَيَالِ رَمَضَانَ ، اسْتَأْذَنُوا رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ ، أَنْ يَنْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَيُصَلُّوا مَعَ بَنِي آدَمَ ، فَكُلُّ مَنْ مَسَّهُمْ أَوْ مَسُّوهُ سَعِدَ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَداً) ، فَقَالَ عُمَر بن الخطّاب ﵁ ، عِنْدَ ذَلِكَ : نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا ، فَجَمَعَ النَّاسَ على التَّرَاوِيحَ ، على أبي بن كعب ، وَ أمر بها ، فرضي ا للّـه عن عمر .

تنبيهان :

- **الأول** : قد اخترت بين أشفاعها و أوتارها ، كيفية تحتوي على خزائن عظيمة ، وذلك أنّي اخترت أن يقرأ في رأس كل وترٍ الإخلاص (مرة واحدة) ، والصلاة (مرة واحدة) ، وكيفيتها : اَللَّهُمَّ صِلِّ وَسَلِّم وَبارِك عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِقَدْرِ عَظْمَةِ ذَاتِكَ يَا أَحَد ، ثم يُقال : اَللَّهُمَّ صِلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ و آلِهِ (مرة واحدة) ، وأن يقرأ في رأس كل شفعٍ ، الإخلاص (ثلاثاً) ، والصلاة بصيغتها المتقدمة (ثلاثاً) ، ثم يقول : لا إلَه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ الملكُ ولهُ الحَمْدُ ، وهُوَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ (مرة واحدة) .

ولمن لا يقدر على القراءة فيها بالأحزاب (أي بالأحزاب من القرآن بعد فاتحة الكتاب) ، أن يجعل كل ركعة أخيرة من كل ركعتين بالإخلاص ، و أن يأتي في الوتر بالإخلاص والمعوذتين ، فحصل بهذا من الإخلاص عشرة ختمات وثلث للقرآن ، ليصبح الجملة إحدى وثلاثين مرة ، وقد ورد في الحديث الشريف أن ثلاثاً منها تعدل القرآن .

ثم يقال بعد التراويح : اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنّا (ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً) ، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (مرة واحدة) ، والحاصل أن هذا الدعاء مع كيفية : لا إله إلا اللّـه وحده .. إلى آخرها ، اَللَّهُمَّ صِلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ و آلِهِ ، من اصطلاح

ساداتنا علماء المشارق ، ثم يُقال بعد الوتر : سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ (ثلاثاً) ، وهذا من أدب السنة ، ثم : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ (ثلاثاً) ، وهو مما اخترناه ، واخترت بعد ذلك مجلسَ ذكرٍ ، وضعت فيه من الأسماء والاستغفار والصلاة .. وكيفيته : يا لطيف (مائة مرة) ، يا اللّــه (مائة مرة) ، يا رحيم (مائة مرة) ، يا حليم (مائة مرة) ، يا عظيم (مائة مرة) ، يا عليم (مائة مرة) ، يا كريم (مائة مرة) ، يا توّاب (مائة مرة) ، يا وّهاب (مائة مرة) ، يا فتّاح (مائة مرة) ، يا نُور (مائة مرة) ، يا هادي (مائة مرة) ، يا ودود (مائة مرة) يا اللّــه (مائة مرة) ، يا لطيف (مائة مرة) ، اسْتَغْفِرُ اللّــه العَظِيمَ (ثلاثاً وثلاثين) ، اسْتَغْفِرُ اللَّــه الكريم رب العرش العَظِيم (ثلاثاً وثلاثين) ، اسْتَغْفِرُ اللَّــه لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا باللَّــهِ (أربعاً وثلاثين) ، والصلاة على النَّبِيِّ (مائة مرة) ، والإخلاص (مائة مرة) ، سورة يس (مرة واحدة) ، سورة تبارك (مرة واحدة) ، الإخلاص (ثلاثاً) ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ، الْحَبِيبِ الْعَالِي الْقَدْرِ ، الْعَظِيمِ الْجَاهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ (سبع مرات).

اللَّهُمَّ بألف الإبتداء وياء الانتهاء ، وبالصفات العُلى ، وبالذات يا أعلى ، صلِّ على سلطان المملكة ، و إمام الحضرة المقدسة ، المفيض على الملأ الأعلى ، من وراء حجبك الجِلا ، من قامت به عوالم الجبروت ، وظهرت عنه عوالم

المُلْك والملكوت ، المطمطم بالأنوار العلية ، والكنز الذي لا يعرفه على الحقيقة إلا مالك البرية ، ترجمان الرحمن ، لعباده بالإحسان ، في حضرة الإمتنان ، بلسان اللطف والحنان ، بقوله : لو لم تذنبوا وتستغفروا ، لأتى اللَّـه بقوم يذنبون ويستغفرون ، فيغفر لهم ، أو كما قال ، المكمل لعباد اللَّـه بالنفحات الفردية ، والمؤيد لهم بالظهورات الأنسية ، والعرش كما يليق بهما ، من ظهر الرب لأجله من العما ، ذروة الدواوين الإلهية ، ترجمان الحضرات الصمدانية ، روح المعارف العلمية ، ومادة الحقائق النورانية ، المتجلي في سماء الربوبية ، ولم يفهم ذلك سوى أهل المتكآت البسطية ، قلب القلوب الواسعة للبر ، والقرآن الذي حوى سر المقدم والمؤخر ، فما في الإمكان ، بحسب ما قضاه الديّان ، أبدع منه عند مولاه ولا عند من تجلّى عليه اللَّـه ، فهو الباطن الذي منه يرى اللّـه ، وهو الظاهر الذي به يتجلى اللـّه ، اللَّهُمّ بالساجدِ عند العرش ، ومن هو سر العرش ، ادخلنا فوق الفرش ، و احملنا إل الديوان الأعلى ، مع الديوان الأجلى ، على باطن منبع سر ، أَنّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبّي يطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

• **الثاني** : اعلموا معشر الإخوان ، أيدّني اللّـه وإياكم بروحِ قدسه ، ونفعني وإياكم بطاعته ، أن قيام الليل وإحياءه بالأذكار ، من أعظم ما يُنتج مقامات الأخيار ، وقد قال في شأنه النَّبِيّ المختار عليه الصلاة والسلام : ما أنعمر الليلُ بأحباب اللّـه مدى الأعصار : (عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَ قُرْبَةٌ إِلَى اللّـه ، وَمَنْهَاةٌ عن الإِثْمِ ، وَ تكفيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ ، ومطردةٌ للداءِ عَن الجسد) .

فأما الصلاة فقد جعل الصالحون منها لهم أعداداً كثيرة ، وأفضل المناويل ، ما كان على سنن الرسول ﷺ ، صاحب الأنوار الغزيرة ، وقد صحّ أنّهُ ﷺ ، كان قيامه بإحدى عشرة ركعة أو ثلاثة عشر بالشفع والوتر ، ونحن نأمر معاشر المؤمنين بهذا القدر لمن يُحقق في نفسه القيام ، ومن لم يحقق ذلك ، فليقدم الشفع والوتر مع العِشاء ، وفي آخر الليل يصلي عشر ركعات ، مع الحضور والتطويل في القراءة والركوع والسجود ، فهذا دأب كل سالك .

وأما الأذكار فقد أكثر في كيفيتها الصالحون ، وأن أعظم شيء ما كان أصله في السنة مخزون ، فالتقطتُ بعض أذكار ، وجعلتها خفيفة تحتوي على فضلٍ كثير ، بفضل الغفار ، ومعها من القراءة والصلاة والاستغفار ، ما

هو طريقٌ يُحصِّلُ خيراً بإكثار ، والقبول على من بيده الجهر والإسرار ، فقلت : تقولُ أولاً :

الحَمْدُ للّـهِ ، والشُكْرُ للّـهِ ، والصلاة والسلام على رسول اللّـهِ (مائة مرة) ، ثم : اسْتَغْفِرُ اللّـه العَظِيمَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ ، الحَيُّ القَيُّومُ ، وَأَتُوبُ إِلَيهِ (مائة مرة) ، ثُمّ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلَى آله وصحبه وسلّم (مائة مرة) ، ثُمّ : لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا باللَّـهِ (مائة مرة) ، ثُمّ : سُبْحَانَ اللَّـهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّـه الْعَظِيم (مائة مرة) ، ثُمّ : يَا ذا الجَلاَلِ والإكْرام (مائة مرة) ، ثُمّ : لَا إِلهَ إِلَّا اللَّـهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ (مائة مرة) ، ثُمّ : لَا إِلهَ إِلَّا اللّـه (مائة مرة) ، ثم اللّـه أكبر (مائة مرة) ، ثم الإخلاص (مائة مرة) ، ثُمّ : اَللَّهُمَّ صِلِّ وَسَلَّم وَبِارِك عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِقَدْرِ عَظْمَةِ ذَاتِكَ يَا أَحَد (عشراً) ،.

وهذه الأذكار كلها مشار إليها في السُّنة ، فأما الحمد للّـه ، والشُكر للّـه ، والتسبيح والتكبير والتهليل ، فقد ورد فيهن أحاديث كثيرة ، من ذلك ما روته أم هَانِئٍ ، عنه ﷺ أنّه قال : (سَبِّحِي اللّاَهَ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاحْمَدِي اللَّـه مِائَةَ تَحْمِيدَةٍ ، فإنها تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ فَرَسٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ ، تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللّـهِ ، وَكَبِّرِي اللـهَ مِائَةَ تَكْبِيرَةٍ ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ ، وَهَلِّلِي اللّـهَ مِائَةَ تَهْلِيلَةٍ ،

فإنها تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَلَا يُرْفَعُ يَوْمَئِذٍ لِأَحَدٍ عَمَل أفضْل منها ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتِ بِهِ) ، أخرجه الطبراني في الكبير ، وأحمد في مسنده ، والحاكم في مستدركه .

وأما الاستغفار ، فقد ورد فيه عن أبي موسى الأشعري عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : (مَا أَصْبَحْتُ غَدَاةً قَطُّ ، إِلا اسْتَغْفَرْتُ اللَّـه فِيهَا مِائَةَ مَرَّةٍ) أخرجه الطبراني ، وأما الصلاة على النَّبِيِّ ﷺ ، فقد ورد فيها ، أنه قال ﷺ : (من صلّى مائة مرة صلّى عَلَيْهِ اللَّـه ألفاً) ، وغير ذلك .

وأما الحوقلةُ (لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا باللَّـه) ، فقد ورد فيها أنه قَالَ ﷺ : (من قالها كل يوم مائة مرة ، لم يصبه فقر أبداً) ، ذكره السملالي في شرحه على الدلائل .

و أما (يَا ذا الجَلاَلِ والإكْرامِ) ، فقد ورد عنه ﷺ ، أَنّهُ قَالَ : (أَلِظُّوا بيَا ذا الجَلاَلِ والإكْرامِ) ، وأما (لَا إِلهَ إِلَّا اللَّـه الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ) ، فقد ورد عنه ﷺ ، أَنّهُ قَالَ : (مَنْ قَالَ كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ : لَا إِلهَ إِلَّا اللَّـهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ، كَانَ لَهُ أَمَانًا مِنَ الْفَقْرِ ، وَ أَنِيساً مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ ، وَ فتحت لَهُ أَبْواب الْجَنَّةِ) ، هذا الحديث رواه الديلمي في الفردوس .

وأمّا ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، فقد ورد فيه عنه ﷺ ، أنّهُ قَالَ : (مَنْ قرأ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ مائة مرة ، غَفَرَ اللَّـه لَهُ ذُنُوبَهُ مائة سنة) ، أخرجه البيهقي ، وعنه أيْضاً ﷺ ، أنّهُ قَالَ : (مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ) ، رواه أحمد والنسائي ، فالمائة بثلاث وثلاثين ختمة وثلث ختمة ، وغير ذلك من الفضائل التي تركناها خوف الإطالة ، وعلى اللّـه التوفيق ، وعندنا في الجميع إشارة من صاحب الرسالة ﷺ ذو الجلالة .

البَابُ الثَّانِي
في فضل مجالس العلم والحديث

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ ، كان يُذكِّرُ النَّاسُ ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفرٍ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمْ فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ ، فَجَلَسَ إِلَيْهَا ، و جَلَسَ الآخر خَلْفَهُمْ ، وَ أَدْبَرَ الثَّالِثُ ذَاهِباً ، فقال النبي ﷺ : (أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ : أَمَّا الْأَوَّلُ : آوَى إِلَى اللَّـهِ ، فَآوَاهُ اللّـهُ ، وَالثَّانِي : اسْتَحَى مِنَ اللَّـهِ أَنْ يُؤْذِيَ النَّاسَ ، فَاسْتَحَى اللَّـهُ مِنْهُ ، وَأَمَّا الثَّالِثُ أَعْرَضَ عن اللّـهِ ، فَأَعْرَضَ اللَّـهُ عَنْهُ) .

وَ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : إِذَا رَأَيْتَ قَوْماً يَذْكُرُونَ اللَّـهَ فَاجْلِسْ مَعَهُمْ ، إِنْ تَكُ عَالِماً نفَعْكَ عِلْمُكَ ، وَإِنْ تَكُ جَاهِلًا عَلَّمُوكَ ، وَ لَعَلَّ اللَّـهَ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَةٍ ، فَتُصِيبَكَ مَعَهُمْ ، وَ إِذَا رَأَيْتَ قَوْماً لَا يَذْكُرُونَ اللَّـهَ ، فَلَا تَجْلِسْ مَعَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكُ عَالِماً لَا يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ ، وَإِنْ تَكُ جَاهِلاً يَزِدْكَ غَيّاً ، وَ لَعَلَّ اللَّـهَ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ بِسَخَطِهِ فَيُصِيبَكَ مَعَهُمْ ، فإن مجلسهم حسرة وندامة .

وَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه ، قال : قال رَسُولُ اللّـه ﷺ : (إِنَّ لِلّـهِ تَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللَّـهَ تَعَالَى تَنَادَوْا ، وَقَالُوا : هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ ، فَيَحُفُّونَ بِهِمْ ، فَإِذَا صَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ ، قَالَ اللَّـهُ عزَّ وَ جلَّ ، وهو أعلم : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ ، فيقولون :

تَرَكْنَاهُمْ يُسَبِّحُونَكَ وَ يَحْمَدُونَكَ ويهللونك وَيَذْكُرُونَكَ ، فَيَقُولُ : وَأَيُّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ ، فَيَقُولُونَ : الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : وهَلْ رَأَوْهَا ، فَيَقُولُونَ : لَا ، فَيَقُولُ : وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ، فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ لَهَا طَلَباً ، فَيَقُولُ : وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَسْتَعِيذُونَ ، وهو أعلم ، فَيَقُولُونَ : مِنَ النَّارِ ، فَيَقُولُ اللَّـهُ تَعَالَى : وَ هَلْ رَأَوْهَا ، فَيَقُولُونَ : لَا ، فَيَقُولُ : كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ، فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا هَرَباً وَأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفاً ، فَيَقُولُ اللَّـهُ تَعَالَى : يَا مَلَائِكَتِي ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : فِيهِمْ فُلَان الْخَاطِئَ ، و لَمْ يُرِدْهُمْ وَإِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ ، فَيَقُولُ اللَّـهُ تَعَالَى : وله قد غفرت ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بهم جَلِيسهم .

وَعَن عَبْدُ اللَّـهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : (مَثَلُ الجَلِيس الصَالِح كَمَثَل حَامِلِ الْمِسْكِ ، إِذَا لَمْ يُعْطِكَ مِنْهُ أَصَابَكَ رِيحه ، وَمَثَلُ جَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ نافخ الكير ، إِنْ لَمْ يَحْرِقْ ثَوْبك أَصَابَكَ مِنْ نتن ريحه و دُخَانِهِ) .

قَالَ الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : من جَلَسَ عند عَالِمٍ ، وَلَم يَقْدِر عَلَى الحفظ (أو أَنْ يَحْفَظَ الْعِلْمَ) ، فَلَهُ سَبْعُ كَرَامَاتٍ : أَوَّلُهَا : يَنَالُ فَضْلَ الْمُتَعَلِّمِينَ ، وَالثَّانِي : مَا دَامَ جَالِساً عِنْدَهُ كَانَ مَحْبُوساً عَنِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايا ، وَالثَّالِثُ : إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ تَنْزِلُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ ، وَالرَّابِعُ : إِذَا جَلَسَ عِنْدَهُ ، فَتَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ ، فَتُصِيبُهُ بِبَرَكَتِهِمْ ، وَالْخَامِسُ : مَا دَامَ مُسْتَمِعاً تُكْتَبُ لَهُ الْحَسَنَات ، وَالسَّادِسُ

: تَحُفُّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا وَهُوَ فِيهِمْ ، وَالسَّابِعُ : كُلُّ قَدَمٍ يَرْفَعُهُ وَيَضَعُهُ ، يَكُونُ كَفَّارَةً لِلذُّنُوبِ ، وَ رَفْعًا لِلدَّرَجَاتِ لَهُ ، وَ زِيَادَةً فِي الْحَسَنَاتِ ، ويستغفر له كل رطبٍ ويابس ، ثُمَّ يُكْرِمُهُ اللَّـهُ بِستِّ كَرَامَاتٍ أُخْرَى : أَوَّلُهَا : يُكْرِمُهُ بِحُبِّ شُهُودِ مَجْلِسِ الْعُلَمَاءِ ، وَالثَّانِي: كُلُّ مَنْ يَقْتَدِي بِهِمْ ، فَلَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَالثَّالِثُ : لَوْ غَفَرَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ يَشْفَعُ لَهُ ، وَ الرَّابِعُ : يُبَرِّءُ قَلْبَهُ مِنْ مَجْلِسِ الفساقِ ، وَالْخَامِسُ : يَدْخُلُ فِي طَرِيقِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَالصَّالِحِينَ ، وَالسَّادِسُ : يُقِيمُ أَمْرَ اللَّـهِ تَعَالَى ، لِأَنَّهُ قَالَ : ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ ، وَ يَعْنِي الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ .

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : (الْمَجْلِسُ الصَّالِحُ ، يُكَفِّرُ عَنِ الْمُؤْمِنِ أَلْفَيْ أَلْفِ مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ السُّوءِ) .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، قَالَ : إِنَّ الرَّجُل يَخْرُج مِنْ مَنْزِلِهِ ، وَعَلَيْهِ مِنْ الذُّنُوبِ مِثْلُ جِبالِ تِهَامَة ، فَإِذَا سَمِعَ الْعِلْمَ خَافَ ، وَاسْتَرْجَعَ و رجع عَنْ ذُنُوبِهِ ، وَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَلَيْس عَلَيْهِ ذَنْبٌ وَاحِد ، فَلَا تُفارِقُوا مَجَالِسَ الْعُلَمَاءِ ، فَإِنَّ اللَّـه تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بُقْعَةً أَكْرَمَ عَلَى اللَّـه و أشْرف مِنْ مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، قَالَ : قال رَجُلٌ للنَّبِيِّ ﷺ : مَتَى السَّاعَةِ ؟ ، فَقَالَ : (ومَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟) ، قَالَ الرَجلُ : مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَثِيراً مِنْ صَلَاةٍ ،

وَلَا صِيَامٍ ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ ، فَقَالَ لَهُ (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ، فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) ، قَالَ أَنَسٌ : فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بِشَيْءٍ كَفَرَحِهِمْ بِذَلِكَ .

وَ قَالَ علقمة بن قيس : لأن أغدو أو أَمُرّ عَلَى قَوْمٍ ، اسْأَلهم عن أوامر اللّـه تعالى ، ويسألونني عنها ، أَحَبّ إِلَيّ مِنْ أَنْ أُحْمَل عَلَى مِائة فَرسٍ فِي سبيلِ اللّـه .

وعَنِ النَّبِيِّ ﷺ ،أَنَّهُ قَالَ : (مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّـهَ عَزَّ وَجلَّ ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ ، أَنْ قُومُوا فَقَدْ بَدَّلْتُ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ ، وَغَفَرْتُ لَكُمْ جَمِيعاً ، وَمَا قَعَدَتْ عِدَّةٌ ، يَذْكُرُونَ اللَّـه تَعَالَى ، إِلَّا وقَعَدَتْ عِدَّتُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَهُمْ) .

و رُوِيَ أن اللَّـه تَعَالَى يُبْغِض النَّوْمُ عِنْد مَجْلِسِ الذِّكْرِ ، وَ بَعْدَ صَلَاةِ الْصُبح ، وَقَبْلَ صلاة الْعِشَاءِ الْآخِرَة ، وَ يُبْغِض الضَّحِك عِنْدَ الْجنائز و عِنْد مَجْلِسِ الذِّكْرِ و عند القبور .

وَ قَالَ النَّبِيّ ﷺ : (مَنْ زَارَ عَالِماً فَكَأَنَّمَا زَارَنِي ، وَ مَنْ صَافَحَ عَالِماً فَكَأَنَّمَا صَافَحَنِي ، وَمَنْ جَالَسَ عَالِماً فَكَأَنَّمَا جَالَسَنِي ، وَمَنْ جَالَسَنِي فِي الدُّنْيَا أَجْلَسَهُ اللَّـه مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ) .

الباب الثالث

في الإخلاص وترك الرياء

عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ مَحْمُود بْنِ لَبِيدٍ ، أَنَّ رَسُول اللَّـه ﷺ ، قَالَ : (أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ) ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّـه وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ ؟ ، قَالَ : (الرِّيَاءُ ، لأن اللَّـه تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ يُجَازِي الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ : (اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ خَيْراً) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـه ﷺ : يقولُ اللَّـه عَزَّ وَجَلَّ : (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي ، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْهُ) .

قِيلَ : بَرِيءٌ غنيٌ عَنْ العَمَلِ الذي فيه شركٌ لغيري ، و قِيلَ: بَرِيءٌ من عامله ، يدل هذا على أن اللهّ لا يقبل من العمل ، إلاّ ما كان خالصاً لوجهه الكريم ، وما سوى ذلك لا يقبله ، ولا يُثِيب عليه في الآخرة ، ومصيره إلى النار ، بِدَلِيلِ ، قَوْلِه تَعَالَى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ ، عني يدخلها و يستوجب المذمة والطرد من رحمة اللّـه ، ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ ، فَدَلّ هَذَا عَلَى قبول ما أريد به وجه

اللَّـه تَعَالَى ، وشكر العامل به ، فقال : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾ ، يعني ما كان رزق ربك في الدنيا ممنوعاً من المؤمن والكافر في كلا الحالتين .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـه ﷺ : (رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ حظٌّ مِنْ صَوْمِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ، وَ رُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ حَظٌّ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَالنَّصَبُ) ، يَعْنِي إِن لَمْ يَكُن ذلكُ لِوَجْهِ اللَّـه عَزَّ و جَلَّ فَلَا ثَوَابَ لَهُ ، وهَكَذَا .

كَمَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ : مَثَلُ مَنْ يَعْمَلُ بالطَّاعَة لأجل الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ يخرج إِلَى السُّوقِ ، وَمَلَأَ كِيسَهُ حَصَاةً (حَصَى) ، فَيَقُولُ النَّاسُ : مَا أعظم ما مْلَأَ كِيس فُلَان ، وَذلك لا مَنْفَعَةَ لَهُ فيه ، سِوَى مَقَالَةِ النَّاسِ ، فَإذا أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ منه شيْئاً ، أو يُعْطِي مَنْ لَمْ يُقبل منهُ ، فكذَلك العامل لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ ، لَا مَنْفَعَةَ لَهُ فِي عَمَلِهِ إلا مَقَالَةِ النَّاسِ وَلَا ثَوَابَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ ، كَمَا قَالَ اللَّـه تَعَالَى : ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾ ، يَعْنِي الْأَعْمَالَ الَّتِي عَمِلُوهَا لِغَيْرِ اللَّـه ، أَبْطَلْنَا ثَوَابَهَا وَجَعلْنَاهَا كَالْهَبَاءِ الْمُنْثُورِ ، الَّذِي يُرَى فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـه ﷺ : (يَكونُ فِي آخرِ الزَّمَانِ أقواماً يَحْتالُونَ للدُّنْيَا بِالدِّينِ ، فَيَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ لبَاس الضَّأْنِ (يعني جُلُودهَا) ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ العسلِ ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئَابِ ، فَيَقُولُ اللَّـه تعَالَى : أَبِي تفترون ؟ ، أَمْ عَلَيَّ تَجْتَرِئُونَ ؟ ، فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَيْكُم فِتْنَةً تَدعُ الْحَلِيمَ (أي العاقل) فيكُمْ حيْرَانًا) .

وَ عَنْ ضَمْرة ، عَنْ أَبِي حَبِيبٍ رَضِيَ اللَّـه عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـه ﷺ : (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لتَرْفَع عَمَلَ العَبْد فَتسْتَكْثِرُهُ وتُزَكُّيه ، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ حَيْثُ شَاءَ اللَّـه ، فَيُوحِي اللَّـه تَعَالَى إِلَيْهِمْ : أَنَّكُمْ حفظَةٌ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي وَأَنَا رَقِيبٌ عَلَيه ، إِنَّ عَبْدِي هَذَا لَمْ يُخْلِصْ لِي عَمَلَهُ ، فَضعُوه فِي سِجِّينٍ ، وَتَصْعَدُ بِعَمَلِ العَبْد ، فَيَسْتَقِلُّونَهُ وَيَسْتحقِرُونَهُ حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ حَيْثُ شَاءَ اللَّـه ، فَيُوَحِيَ اللَّـه إِلَيْهِمْ أَنَّكُمْ حفظَةٌ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي ، وَأَنَا رَقِيبٌ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ ، إِنَّ عَبْدِي هَذَا أَخلَصَ لِي عَمَلَهُ فَاكْتُبُوهُ فِي عِلِّيِّينَ) ، فَفِي هَذَا الْخَبَرِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَمَل القَلِيل إِذَا كَانَ لِوَجْهِ اللَّـه تَعَالَى يُضَاعِفُهُ وَ يُنمِيه ، كَمَا قَالَ اللَّـه تعَالَى : ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ .

وَ رُوِيَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ، أنّهُ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـه ﷺ : (يُؤْمَرُ بِأُنَاسٍ مِنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّة ، فَإِذَا دَنَوْا مِنْهَا ، وَاسْتَنْشَقُوا رَائِحَتَهَا ، وَنَظَرُوا إِلَى قُصُورِهَا ، وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّـه لِأَهْلِهَا ، نُودُوا أَنِ اصْرِفُوهُمْ عَنْهَا ،

فَلَا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهَا ، فَيَرْجِعُونَ بِحَسْرَةٍ مَا رَجَعَ بِمِثْلِهَا ، فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا لَمَا أَدْخَلْتَنَا النَّارَ ، قَبْلَ أَنْ تُرِيَنَا مَا أَرَيْتَنَا مِنْ ثَوَابِ مَا أَعْدَدْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ فِي الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ اللَّـه تَعَالَى : (ذَلِكَ أَرَدْتُ بِكُمْ ، لأنكم كُنْتُمْ إِذَا خَلَوْتُمْ بَارَزْتُمُونِي بِالْعَظَائِمِ ، وَإِذَا لَقِيتُمُ النَّاسَ لَقِيتُمُوهُمْ مُخْبِتِينَ، تُرَاءُونَ النَّاسَ بِأَعْمَالِكُمْ ، خِلَافَ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ ، هِبْتُم النَّاسَ وَلَمْ تَهَابُونِي ، وَ تَرَكْتُمْ لِلنَّاسِ وَلَمْ تَتركُوا لِي ، وَأَجْلَلْتُمُ النَّاسَ وَلَمْ تُجِلّونِي الْيَوْمَ أُذِيقُكُمْ عذَابِي ، مَعَ مَا حَرَمْتُكُمْ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِي) .

وَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـه عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـه ﷺ : (لَمَّا خَلَقَ اللَّـه جَنَّةَ عَدْنٍ ، خَلَقَ غُرفهَا بِيَدِه ، فَجَعَلَ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : تَكَلَّمِي، قَالَتْ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَتْ : إِنِّي حَرَامٌ عَلَى كُلِّ بَخِيلٍ وَمُنَافِقٍ وَمُرَائِي) .

وَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـه ﷺ : (إِنَّ اللَّـه إِذَا أَحَبَّ عَبْداً ، قَالَ : يَا جِبْرِيل إِنِّي أُحِبُّ فُلَاناً فَأَحِبَّهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيل ، ثُمّ يَقُولُ : يَا جِبْرِيل نادي فِي أَهْل السَّمَوات ، إِنَّ اللَّـه يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَوات ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَض عَبْداً فَمِثْلُ ذَلِكَ) .

وَ سَأَلَ رَجلٌ شفيق ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الزَّاهِدِ ، فَقَالَ : النَّاس يُسَمُّونِي صَالِحاً فَكَيْفَ أَعْلَمُ أَنِّي صَالِحٌ أَوْ غَيْرُ صَالِحٍ ؟ ، فَقَالَ لَهُ شَفِيقٌ : أَظْهِرْ سِرَّكَ عِنْدَ

الصَّالِحِينَ ، فَإِنْ رَضُوا بِهِ فَاعْلَمْ أَنَّكَ كذلك وَإِلَّا فَلَا ، وَ اعْرِضِ الدُّنْيَا عَلَى قَلْبِكَ ، فَإِنْ رَدَّهَا فَاعْلَمْ أَنَّكَ صَالِحٌ وَإِلَّا فَلَا ، وَ اعْرِض الْمَوْت عَلَى نَفْسِكَ فَإِنْ تَمَنَّتْهُ فَاعْلَمْ أَنَّكَ صَالِحٌ وَإِلَّا فَلَا ، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ فِيكَ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ ، فَتَضَرَّعْ إِلَى اللَّـه تَعَالَى ألاّ يَدْخُلَها الرِّيَاءُ .

وَ رَوَى ثَابِتٌ الْبنانِيُّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـه ﷺ لأصحابه : (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُؤْمِن ؟ ، قَالُوا : اللَّـه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : (الَّذِي لَا يَمُوتُ حَتَّى يَمْلَأَ اللَّـه مَسَامِعَهُ مِمَّا يُحِبُّ ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّـه ، فِي جَوْفِ بَيْتِه إِلَى سَبْعِينَ بَيْتاً ، عَلَى كُلِّ بَيْتٍ بَابٌ مِنْ حَدِيدٍ ، لَأَلْبَسَهُ اللَّـه رِدَاءَ عَمَلِهِ ، حَتَّى يَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِذَلِكَ وَيَزِيدُون) ، فَسُئِلَ رَسُول اللَّـه ﷺ ، كَيْفَ يَزِيدُونَ ؟ ، قَالَ : (إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُحِبُّ مَا زَادَ فِي عَمَلِهِ) ، ثُمَّ قَالَ : (أَتَدْرُونَ مَنِ الْفَاجِرُ) ، قَالُوا : اللَّـه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : (الَّذِي لَا يَمُوتُ حَتَّى يَمْلَأَ اللَّـه مَسَامِعَهُ مِمَّا يَكْرَهُ ، وَلَوْ أَنَّ عَبْداً عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ اللَّـه تَعَالَى فِي جَوْفِ بَيْتِه ، إِلَى سَبْعِين بَيْتاً ، عَلَى كُلِّ بَيْتٍ بَابٌ مِنْ حَدِيدٍ ، لَأَلْبَسَهُ اللَّـه رِدَاءَ عَمَلِهِ حَتَّى يَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِهِ وَيَزِيدُون) ، فقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّـه كَيْفَ يَزِيدُونَ ؟ ، قَالَ : (إِنَّ الْفَاجِرَ يُحِبُّ مَا زَادَ فِي فُجُورِهِ) .

وَ قَالَ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ اللَّـه : كَانَ أَهْلُ الْخَيْرِ يَكْتُبُ بَعْضُهُمْ لبَعْضٍ بِثَلَاثِ كَلِمَاتٍ ، وهي : مَنْ عَمِلَ لِلآخِرَة كَفَاهُ اللَّـه أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ

وَبَيْنَ اللَّـه أَصْلَحَ اللَّـه مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّـه عَلَانِيَتَهُ .

البَابُ الرَّابِعُ
في التوبة

عَنْ عَبْدِ اللَّـه بْنِ عُبَيْدِ رَضِيَ اللَّـه عَنْهُمَا ، قَالَ : (قَالَ آدَمُ عَلَيْه الصلاة والسلام : يَا رَبُّ إِنَّكَ سَلَّطْتَ عَلَيَّ إِبْلِيسَ اللعين ، وَ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَمْتَنِعَ مِنْهُ إِلَّا بِكَ ، فقَالَ اللَّـه :يَا آدم ، لَا يُولَدُ لَكَ مولَودٌ إِلَّا وَكَّلْتُ بِهِ مَنْ يَحْفَظُهُ مِنْ مَكْرِ إِبْلِيسَ، قَالَ آدم : يَا رَبِّ زِدْنِي ، قَالَ : الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَ أَزِيد ، وَالسَّيِّئَةُ بِوَاحِدَةٍ وَأَمْحُوهَا ، قَالَ آدم : يَا رَبُّ زِدْنِي ، قَالَ : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ .

وقَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـه تَعَالَى عَنْهُمَا : (كتب وَحْشِي قَاتِلَ حَمْزَةٍ إلى النَّبِيِّ ﷺ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُسْلِمَ ، وَلَكِنْ تَمْنَعُنِي آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ نَزلَتْ عَلَيْكَ ، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ ، وَإِنِّي فَعَلْتُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الثَّلَاثَةَ ، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ ؟ ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ

الْآيَةُ : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ، فَكَتَبَ ذَلِكَ إِلَى وَحْشِيٍّ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَحْشِي : إِنَّ فِي الْآيَةِ شَرْطاً ، وَهُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ ، وَلَا أَدْرِي هَل أَقْدِرُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ أَمْ لَا، فَنَزَلَت هذه الآية ، وَ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ ، فَكَتَبَ وَحْشِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ إن في الآية شَرطُ المشيئة وَلَا أدْرِي أيشَاء أنْ يغفر لِي أمْ لَا ؟ ، فَنَزَلَ قَوْله تَعَالَى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، فَكَتَبَ إِلَى وَحْشِي بِذَلك ، فَلَمْ يَجِدْ وَحْشِي شَرطاً فأسْلَم ، و لَمَّا أسْلَم حَسُنَ إسْلَامه ، و قَتَل مُسَيْلَمَة الكَذّاب .

وَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، قَالَ : كنت جَالَساً مع نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِنْهُمْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـه ﷺ ، يَقُولُ : (مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِنِصْفِ يَوْمٍ تَابَ اللَّـه عَلَيْهِ) ، فَقُلْتُ : أَأَنْتَ سَمِعْتَ هَذا مِنْ رَسُولِ اللَّـه ﷺ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ .

و قَالَ آخَرَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـه ﷺ ، يَقُولُ : (مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَاعَةٍ ، تَابَ اللَّـه عَلَيْهِ) .

وَقَالَ آخر : سَمِعْتُ رَسُول اللَّـه ﷺ ، يَقُول : (مَنْ تَابَ قَبلَ غَرْغَرَتِهِ تَابَ اللَّـه عَلَيْهِ) .

وَ قَالَ مَكْحُول : بَلَغَنِي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عُرِجَ بِهِ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَوات ، أَبْصَرَ عَبْداً يَزْنِي ، فَدَعَا عَلَيْهِ فَأَهْلَكَهُ اللَّـه تَعالَى ، ثُمَّ رَأَى عَبْداً حُرْاً يَسْرِقُ ، فَدَعَا عَلَيْهِ فَأَهْلَكَهُ اللَّـه تَعالَى ، فَأَوْصَى اللَّـه تَعالَى إلى إِبْرَاهِيمُ ، دَعْ عِبَادِي ، فَإِنَّهم بَيْنَ ثَلَاثِ خِلَالٍ : بَيْنَ أَنْ يَتُوبُوا فَأَتُوبَ عَلَيْهِم ، وَبَيْنَ أَنْ أَسْتَخْرِجَ منهم ذُرِّيَةً صالحة فيَعْبُدُونِي، وَبَيْنَ أَنْ يَغْلِبَ عَلَيْهِم الشَّقَاءُ ، فَمِنْ وَرَائِهِم جهَنَّمُ .

و قَالَ أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ رَسُولُ اللَّـه ﷺ : (صَاحِبُ الْيَمِينِ أَمِينٌ عَلَى صَاحِبِ الشِّمَالِ ، فَإِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ حَسَنَةً ، كَتَبَها لَهُ صَاحِبُ الْيَمِينِ عَشْراً ، وَإِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ سَيِّئَةً ، فَأَرَادَ صَاحِبُ الشِّمَالِ أَنْ يَكْتُبُهَا ، قَالَ له صَاحِبُ الْيَمِينِ : أَمْسِكْ ، فَيُمْسِكُ سِتَّ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ أَوْ سَبْعَاً ، فَإِنِ اسْتَغْفَرَ اللَّـه منها لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ شَيْئاً ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ كَتَبَ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً) .

وَ قَالَ الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : هَذَا مُوَافِقٌ للحديثِ المروِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّـه ﷺ ، حيث يَقُول : (التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ) .

وَ رَوَى صَفْوَانُ بن عَسَّالٍ الْمُرَادِيُّ ، عَنِ رَسُولِ اللَّـه ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : (مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ بَابٌ ، خَلَقَهُ اللَّـه عَزّ وَ جَلّ لِلتَّوْبَةِ ، مَسِيرَةُ عَرْضُهُ مَسِيرَة سَبْعِينَ سَنَةً أَوْ أَرْبَعِينَ ، فَلَا يَزَالُ مَفْتُوحاً لا يُغْلَقُ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) .

وَ رُوِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : (الْمُسْتَغْفِرُ بِاللِّسَانِ الْمُصِرُّ عَلَى الذَّنْبِ ، كَالْمُسْتَهْزِئِ بِرَبِّهِ) ، يَعْنِي أنه اسْتَغْفَرَ بِلِّسَانِه وَنِيَّتُهُ أَنْ يَعُودَ ، فَهَذَا لَا يَكُونُ تَوْبَةً ، وَإِنَّمَا التَّوْبَةُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ بِاللِّسَانِ وَيَنْوِيَ الإقلاع عن الذَّنْبِ ، و إِنَّهُ لَا يَعُود إليهِ أبَداً ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ غَفَرَ اللَّـه ذَنْبَهُ ، وَإِنْ كَانَ عَظِيماً ، فَإِنَّ اللَّـه تَعَالَى رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ .

وَ قِيلَ : كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَلِكٌ ، ذُكِر لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعُبّادِ ، فأحبّ صُحْبَتِهِ والتبرك بهِ ، فَأحضره ، وَ رَاوَدَهُ عَن صُحبَتِهِ وَلُزُوم داره ، فَقَالَ الْعَابِدُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَوْ دَخَلْتَ يَوماً إلى بَيْتِكَ ، فَوَجَدْتَنِي أُلَاعِبُ جَارِيَتَكَ ، فَمَا كُنْتَ تَصْنع ؟ ، فَغَضِبَ الْمَلِكُ وَقَالَ : يَا فَاجِرُ تَتجرأ عَلَيَّ بِمِثْلِ هَذَا ؟ ، فَقَالَ لَهُ الْعَابِدُ : إِنَّ لِي رَبّاً كَرِيماً رَحِيماً ، لَوْ رَأَى مِنِّي سَبْعِينَ ذَنْباً فِي يَوْمٍ واحدٍ ، وأنا اسْتغفر لَمَا غَضِبَ عَلَيَّ ، وَلَا طَرَدَنِي من بَابِهِ ، وَلَمْ يحْرِمْنِي مِنْ رِزْقِهِ ، فَكَيْفَ أُفَارِقُ بَابَهُ وَأَلْزَمُ بَابَك ، وقد غَضَبت عَلَيَّ قبلَ وُقوعِ الذَّنْبِ ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتَنِي عَلَى الْمَعْصِيَةِ ؟ ، ثُمَّ تركهُ العَابِد ، وَ مَضَى إلَى حَالِ سَبِيلِهِ رضي الله عنه .

قَالَ الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : الذَّنْبُ ينقسم إلى قسمين : ذَنْبٌ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّـه ، فتَوْبَتُهُ الِاسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ ، وَالنَّدَمُ بِالْقَلْبِ ، وَالْإِضْمَارُ أَنْ لَا يعُودَ إليه أبداً ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَا يَبْرَحُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يَغْفِرَ اللَّـه لَهُ ، و إن كان قَدْ تَركَ شَيْئاً مِنَ الْفَرَائِضِ ، فَلَا تَنْفَعُهُ التَّوْبَةُ مَا لَمْ يَقْضِ مَا فَاتَهُ مِنَ الْفَرَائِضِ ، وَأَمَّا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ الناسِ ، فلا تقبل فيه التوبة حتى يُرْضِيهم و يتحلّلهم .

قِيلَ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ : هَلْ لِلتَّائِبِ عَلَامَة يَعْرِفُ بها قبول تَوْبَتُهُ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَرْبعَةُ أَشْيَاءَ : أَوَّلُهَا : يَنْقَطِعَ عَنْ أَصْحَابِ السُّوءِ ، وَيُخَالِطَ الصَّالِحِينَ ، وَالثَّانِي : ينْقَطِع عَنْ كل ذَنْبٍ ، وَيُقْبِل عَلَى الطَّاعة جهده ، وَالثَّالِثُ : أَنْ يدفع نفسه فَرَح الدُّنْيَا ويخرجه ، وَيَلزم خَوف الْآخِرَةِ دَائِماً فِي قَلْبِهِ ، ويَكُونُ مُشْتَغِلاً بِمَا أُمَرَهُ اللَّـه مِنْ طَاعتِهِ ، وَ الرَّابِعُ : أَنْ يَرَى نَفْسَهُ فَارِغًا عَمَّا ضَمِنَ اللَّـه لَهُ مِنَ الرِّزْقِ ، مُشْتَغِلاً بِمَا أُمره اللَّـه بِهِ ، فَإِذَا وَجَدْ فِيهِ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ ، فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّـه تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ، فحينئذٍ يجب لَهُ عَلَى النَّاسِ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ : أَوَّلاً : أَن يُحِبُّوهُ ، فَإِنَّ اللَّـه تَعَالَى قَدْ أَحبَّهُ ، وَالثَّانِي : يَحْفَظُوهُ بِالدُّعَاءِ أَنْ يُثَبِّتَهُ اللَّـه تَعَالَى عَلَى التَّوْبَةِ ، وَالثَّالِثُ : أَنْ لَا يُعيِّرُوهُ بِمَا سَلَفَ مِنْ الذنوبِ ، وَالرَّابِعُ : أَنْ يُجَالِسُوهُ وَيُذَاكِرُوهُ وَيُعِينُوهُ ويُكْرِمُوهُ ، وحينئذٍ يُكْرِمَهُ اللَّـه بِأَرْبَعَةِ كَرَامَاتٍ : أَوْلاً : أَنْ يُخْرِجَهُ مِنَ الذَنْبِ ، ثَانِياً : أَنْ يُحِبَّهُ اللَّـه تعَالَى ، ثَالِثاً : لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ

وَيَحْفَظَهُ مِنْهُ ، رَابِعاً : أَنْ يُؤَمِّنَهُ مِنَ الْخَوْفِ ، قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا ، قَالَ اللَّـه تعالى : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ .

البَابُ الخَامِسُ

في فضل إتمام الصلاة والخشوع فيها

عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ : الصَّلاَةُ مِكْيَالٌ ، فَمَنْ وَفَّى وُفِّيَ لَهُ ، وَ مَنْ طَفَّفَ فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا قَالَهُ اللَّـه فِي الْمُطَفِّفِينَ .

وَ رَوى الْحَسَن ، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، أَنّهُ قَالَ : (أَلَا أُخْبِرُكُم بِأَسْوَأِ النَّاسِ سَرِقَةً ، قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّـه ، قَالَ : (الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ) ، قَالُوا : وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ ، قَالَ : (لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا) .

وَ رُوِيَ أَنّ يَعْقُوب الْقَارِئِ ، كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَجَاءَ سارِقٌ فَاخْتَلَس رِدَاءَهُ ، فَذَهَبَ بِهِ إِلَى رفقتهِ ، فَعَرَفُوه ، وَ قَالُوا : هَذَا رِدَاء الرَّجُلِ الصَّالِحِ يَعْقُوب ، رُدَّهُ لئلا يَدْعُو عَلَيْنا ، فَجاءَه وَ وَضَعَهُ عَلَى كَتِفِهِ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ صَنِيعِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ ، أُخْبِرَ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : لَمْ أَشْعُرْ بمَنْ أَخَذَهُ رَفعَهُ وَلَا بمَنْ وَضَعَهُ .

و قِيلَ أنّ رَابِعَةَ الْعَدَوِيَّةِ ، كَانَتْ فِي الصَّلَاةِ ، فَسَجَدَتْ عَلَى الْبَوَارِي (نُوْعٌ مِنْ الحَصِيرِ) ، فَدَخَلَتْ قصبةٌ فِي عَيْنِهَا ، فَلَمْ تَشْعُرْ بِهَا حَتَّى فرغتْ مِنَ الصَّلَاةِ .

وَ قِيلَ كَانَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَوَضَّأَ تَغيَّرَ لَوْنُهُ ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنِّي أُرِيدُ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَي الْمَلِكِ الْجَبَّارِ ، وَكَانَ إِذَا أَتَى الْمَسْجِدِ ، رَفَعَ رَأْسَهُ نَحوَ السماءِ ، وَ قَالَ : إِلَهِي عَبْدُكَ بِبَابِكَ ، يَا مُحْسِنٌ قَدْ أَتَاكَ الْمُسِيءُ ، وَقَدْ أَمَرْتَ الْمُحسِنَ مِنَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنِ الْمُسِيءِ ، فَأَنْتَ الْمُحْسِنُ ، وَأَنَا الْمُسِيءُ ، يا مُتَجَاوِزاً عنْ الْمُسِيءِ ، تَجَاوَزْ عَنْ قَبِيحِ مَا عِنْدِي ، بِجَمِيلِ مَا عِنْدِكَ ، يَا كَرِيمُ ، ثُمَّ يَدْخُل الْمَسْجِدَ .

وَ رُوِيَ أَنّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، رَأَى رَجُلاً يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ فِي الصَّلَاةِ ، فَقَالَ : (لَوْ خَشَعَ قَلْبه لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ) .

وَ قِيلَ : كَان عَلِيٍّ رضي الله عنه ، إِذَا جَاءَ ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، و ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : جَاءَ وَقْتُ أَمَانَة ، عَرَضَهَا اللّـه تَعالَى عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالجِبَالِ ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، وَلَا أَدْرِي هل أُحْسِنُ إذا مَا حُمِّلْتَ أَمْ لَا ، وَ رُوِيَ أَيْضاً هَذَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رضي الله عنه .

وَ قَالَ سَعِيد بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه : كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الْمَسْجِدِ فصَعَدَ الْمُؤَذِّنُ ، فَقَالَ : اللَّـه أَكْبَرُ اللَّـه أَكْبَرُ ، فبكى ابن عباس ، حتى بلَّ رِداءه ، فَقِيلَ لَهُ : يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّـه صلى الله عليه وسلم ، مَا هَذَا الْبُكَاءُ ، و نَحْنُ نَسْمَعُ الْأَذَانَ وَلَا نَبْكِي ، فقَالَ : لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ مَا اسْتَرَاحُوا وَلَا نَامُوا ، فَقِيلَ لَهُ : أَخْبِرْنَا مَا يقُول ، قَالَ : إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ : اللَّـه أَكْبَرُ اللَّـه أَكْبَرُ ، معناه : أَنْ يَقُولُ : يَا مَشَاغِيلُ تَفرَّغُوا لِلْأَذَانِ ، وَأَرِيحُوا الْأَبْدَانَ ، وَتَقَدَّمُوا إِلَى خَيْرِ أَعمالِكُمْ ، وَإِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـه ، يَقُولُ : أَشْهد جَمِيعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْخَلَائِقِ ، لَيَشْهَدُوا لي عِنْدَ اللَّـه يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ ، وَإِذَا قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّـه ، معناه : أن يَقُولُ : يَشْهَدُ الْأَنْبِيَاءُ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلُّهُمْ ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم و عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، أَنِّي أَخْبَرْتُكُمْ بذلك خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَإِذَا قَالَ : حَيِّ عَلَى الصَّلَاةِ ، مَعْنَاه : أَنَّ اللَّـه قَدْ أَقَامَ لَكُمْ هَذَا الدِّينَ فَأَقِيمُوهُ ، وَإِذَا قَالَ : حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ، مَعْنَاه : خُوضُوا فِي الرَّحْمَةِ ، وَخُذُوا أَسْهُمَكُمْ مِنَ الْهُدَى ، وَإِذَا قَالَ: اللَّـه أَكْبَرُ اللَّـه أَكْبَرُ ، مَعْنَاه : حَرَّمْتُ عَلَيْكُم الْأَعْمالَ قَبْلَ الصَّلَاةِ ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ ، مَعْنَاه :أَمَانَةُ سَبْعِ سَمَوَاتٍ ، وَسَبْعِ أَرْضِينَ ، وُضعتْ عَلَى أَعْنَاقِكُمْ ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَتقدّمُوا ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَأَدْبِرُوا .

وَ رُوِيَ أَنَّ حَاتِماً الزَّاهِدَ رضي الله عنه ، دَخَلَ عَلَى عاصم بْنِ يُوسُفَ ، فَقَالَ لَهُ عاصمٌ : يَا حَاتِمُ هَلْ تُحْسِنُ أَنْ تُصَلِّيَ؟ ، فَقَالَ: نَعَمْ ، فَقَالَ : كَيْفَ ؟ ، قَالَ: إِذَا تَقَارَبَ وَقْتُ الصَّلَاةِ أَسْبَغْتُ الوُّضُوء ، ثم أستوي في الموضع الذي أصلي فيه ، حتى يستقر كل عضوٍ مني ، فأجعل الكعبة بين حاجبي والمقام بحيال صدري ، واللّـه تعالى يعلم ما في قلبي ، وكأن قدمي على الصراط ، والجنة عَنْ يَمِينِي ، وَالنَّارَ عَلى يَسَارِي ، وَمَلَكَ المُوْتِ خلفي ، وأظن أنها آخر صلاة أصليها من عمري ، ثم أكبر تكبيرة بإخباتٍ ، و أقرأ بتفكرٍ ، وأركع ركوعاً بتواضع ، وأسجد سجوداً بتضرع ، ثم أجلس على التمام ، وأتشهد على الرجاء والخوف ، وأسلم على السُّنة ، ثم أسلمها بإخلاصٍ ،ثم أقوم فيها بين الخوف و الرجاء ، و أتعاهدها على الصبر ، فقَالَ عاصِمٌ : يَا حَاتِمُ كَذَا صَلَاتُكَ ؟ ، قَالَ : نعم هَكَذَا صَلَاتِي ، مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَبَكَى عاصِمُ ، وَقَالَ : و اللَّـه مَا صَلَّيْتُ مِنْ صَلَواتِي قَطُّ مِثْلَ هذه الصَّلاة.

البَابُ السَّادِسُ

في فضل ذكر الله عز وجل

قَالَ أَبو الدَّرْدَاءِ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : (أَلا أُنبِّئُكُم بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ ، قالوا : وما هُوَ ، قَالَ : ذِكْرُ اللَّـهِ ، ولَذِكْرُ اللَّـه أكبر).

وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ : سُئِلَ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ ، قَالَ : (أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّـهِ) .

وَ قَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـه عَنْهُمَا : لَمَّا بَعَثَ اللَّـه يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أمره أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِخَمْسٍ ، وَأن يَضْرِبَ لِكُلِّ واحدٍ مَثَلاً :أَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّـه وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً فَقَالَ : مَثَلُ الشِّرْكِ بِاللَّـه كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْداً مِنْ خَالِصِ مَالِهِ ، ثُمَّ أَسْكَنَهُ دَاراً ،وَ زَوَّجَهُ جَارِيَةً لَهُ ، وَ دَفَعَ إِلَيْهِ مَالاً ، وَأَمَرَهُ أَنْ يتجِرَ فِيهِ ، وَيَأْكُلَ مِنْهُ مَا يَكْفِيهِ ، وَ يُؤَدِّي إِليهِ فَضْلَ الرِّبْح ، فَعَمَدَ الْعَبْدُ إِلَى فَضْلِ الرِبْح ، فَأعطاه عَدُوِّ سَيِّدِهِ ، وَأعطى منه سَيِّدِهِ شَيْئاً قليلاً ، أَيُّكُمْ يَرْضَى بِمِثْلِ هَذَا الْعَبْدِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ ، وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً ، فَقَالَ : مَثَلُ الصَّلَاةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى مَلِكٍ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي الدخولِ عَلَيْهِ ، فَلما دَخَلَ ، أَقْبَلَ الْمَلِكُ يَسْمَعَ

مَقَالَتَهُ ، فأَلْتَفتُ يَمِيناً وَشِمَالاً ، وَ لَمْ يَهْتَمَّ بِحَاجَتِهِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ الْمَلِكُ ، وَلَمْ يَقْضِ حَاجَتَهُ ، وَأَمَرَهُمْ بِالصِّيَامِ ، وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً ، فَقَالَ : مَثَلُ الصَّائِمِ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ لَبِسَ له جُبَّةً ، وَأَخَذَ سِلَاحَهُ لِلْقِتَالِ ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ عَدُوُّهُ ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ سِلَاحُه ، وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً ، فقَالَ : مَثَلُ الصَّدَقَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ ، فَاشْتَرَى مِنْهُ نَفْسَهُ بِثَمَنٍ مَعْلُومٍ ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ فِي بِلَادِهِمْ ، وَيُؤَدِّي إِلَيْهِمْ مِنْ كَسْبِهِ مِنَ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ ، حَتَّى فَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ ، وَ أَمَرَهُمْ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى ، وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً فَقَالَ : مَثَلُ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى كَمَثَلِ قَوْمٍ لَهُمْ حِصْنٌ ، وَبِقُرْبِهِمْ عَدُوٌّ ، أَرَادَ غَارتهم ، فَدَخَلُوا حِصْنَهُمْ ، وَأَغْلَقُوا بَابَهُم ، وعصموا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْعَدُوِّ .

و قَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (أَنَا آمُرُكُمْ فِي اللهِ بِها ، وَآمُرُكُمْ بِخَمْسٍ أُخْرَى : عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ، وَالسَّمْعِ ، وَالطَّاعَةِ ، وَالْهِجْرَةِ ، وَالْجِهَادِ) .

وقَال عَبْدِ اللهَ (أو عُبَيْدِ الله) بْنِ عُمَيْرٍ : مَنْ قَالَ الْحَمْدُ للهِ ، تُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَالتَّكْبِيرُ يَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالتَّسْبِيحُ للهِ تَعَالَى لَا يَنْتَهِي إِلَى ثَوَابِهِ عِلْمُ أَحَدٍ دُونَ اللهِ تَعَالَى ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ ، أَيْ إِذَا ذَكَرَنِي عَبْدِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خير مِنْهُم ، وإذا تقرّب مني عبدي شبراً تقربت منه ذراعاً ، وإذا تقرّب

مني ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإذا أتاني مشياً أتيته هرولةً ، وإذا سألني أعطيته ، وإذا لم يسألني غضبت عليه ، و مَا مِنْ عَبْدٍ يَضَعُ جَنْبَهُ عَلَى فِرَاشِه ، فَيَذْكُرُ اللهَّ تَعَالَى حتى يُدْرِكَهُ النَّوْمُ ، إِلَّا كتبَهُ اللهّ ذكْراً إِلَى أَنْ يَسْتَيْقِظَ .

قَالَ الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : الذِّكْرُ مِنَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ الْعَفْوُ وَالْمُغْفِرَةُ والرحمة ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهَّ تَعَالَى ذَكَرَهُ اللهُّ تَعَالَى بِالْمُغْفِرَةِ .

وَعَنْ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : (لِكُلِّ شَيْءٍ صِقَالٌ ، وَصِقَالُ الْقَلْبِ ذِكْرُ اللهَّ تَعَالَى) .

وَ قَال إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ ، عَنْ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : (إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَسَلَّمَ ، قَالَ الشَّيْطَانُ : لَا مَقِيلَ لِي ، فَإِذَا أَتَى بالطَعَامِ فَذَكَرَ اللهَّ عليه ، قَالَ الشَّيْطَانُ : لَا مَقِيلَ وَلَا مَطْعَمَ ، فَإِذَا أَتَى بالشراب ، فَسَمَّى اللهّ تَعَالَى ، قَالَ : لَا مَقِيلَ لِي ، وَلَا مَطْعَمَ ، وَلَا مَشْرَبَ ، وَ خرج خَاسِئاً) .

وَعَنْ عَائِشَة ، أَنَّ رَسُول اللهَّ ﷺ ، قَالَ : (إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَاماً ، أو شَرِبَ شَرَاباً ، فَلْيَقُلْ : بِسْمِ اللهَّ الرحمن الرحيم ، فَإِذا نَسِيَ ذلك فِي أَوَّلِهِ ، فَلْيَقُلْ : بسم اللهّ فِي آخِرِهِ) .

وَقَالَ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، عَرَضَ اللهُّ تَعَالَى لابن آدم كُلَّ دَعْوَةٍ دَعَا بِهَا فِي الدُّنْيَا ، فَلَمْ يُجِبهُ ، فَيَقُولُ لَهُ : عَبْدِي دَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا و كَذَا ،

فَأَمْسَكْتُ عَلَيْكَ دَعْوَتَكَ ، وَ هَذَا الثَّوَابُ مَكَانَ ذَلِكَ الدُّعَاءِ ، فَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يُعْطى مِنَ الثَّوَابِ حَتَّى يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أُجِيبَتْ لهُ دَعْوَةً فِي الدُّنْيَا قَطُّ.

الْبَابُ السَّابِعُ

في فضل الصبر على المصيبة

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـه تَعَالَى عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـه ﷺ : (يَا غُلَامُ ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّـه بِهِنَّ ؟، قُلْتُ : نعم ، قَالَ : (احْفَظِ لِسَانك ، و احْفَظِ اللَّـه يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّـه تَجِدْهُ أَمَامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّـه فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ ، وَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّـه ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّـه ، فقَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُم أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يُقَدِّرْهُ اللَّـه ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذلك ، وَلو أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّـه عَلَيْكَ ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذلك ، فاعْمَلْ للهَّ بِالشُّكْرِ وَالْيَقِينِ ، فإِنْ لمْ تستطيع فَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْراً كَثِيراً ، وَ اعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) .

قال الإمام عَلِيٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، احْفَظُوا عَنِّي خَمْساً : أَلَا يَخَافَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا ذَنْبَهُ ، وَلَا يَرْجُو إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَسْتَحِي منكم أَحد إِذَا لَمْ يَعْلَم أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَلَا يَسْتَحِي أَحدكم إِذَا سُئِلَ ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ ،

وَ اعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْأُمُورِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجُسَدِ ، فَإِنْ الرَّأْس إِذَا فَارَقَ الجُسَدَ ، فَسَدَ الجُسَدُ ، وَإِذَا فَارَقَ الصَّبْرُ الْأُمُورَ فَسَدَتِ الْأُمُورُ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى الْفَقِيهِ كُلِّ الْفَقِيهِ ؟ ، قَالُوا : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : مَنْ لَمْ يُيَئِّسِ النَّاسَ مِنْ رَوْحِ اللَّـه ، وَ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّـه ، وَ لَمْ يُؤَمِّنِ النَّاسَ مِنْ مَكْرِ اللَّـه ، وَ لَمْ يُزَيِّنْ لِلنَّاسِ مَعَاصِيَ اللَّـه ، وَلَا تنزلُوا الْعَارِفِينَ الْمُوَحِّدِينَ الجُنَّةَ ، وَلَا تنزلُوا الْعَاصِينَ الْمُذْنِبِينَ النَّارَ ، حَتَّى يَكُونَ الرَّبُّ هُوَ الَّذِي يَقْضِي بَيْنَهُمْ بحكمه ، وهو خير الحاكمين ، وَلَا يَأْمَن خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ عَذَابِ اللَّـه ، وَ اللَّـه يَقُولُ : ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ، وَلَا يَيْأَسُ شرار هذه الأمة مِنْ رَوْحِ اللَّـه ، فإنّ اللَّـه تَعَالَى يَقُولُ : ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ .

وَ قَالَ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ : إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ قَبْره ، قَامَتِ الصَّلَاةُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَالزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ ، وَالْبِرُّ يظُلُّ عَلَيْهِ ، وَالصَّبْرُ يُحَاجج عَنْهُ ، فالصَّبْرَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ ، وَ اللَّـه تَعَالَى يَقُولُ : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

و عَنِ عبد اللَّـه بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّـه صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُهُ جُلُوسٌ ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ ، فَقَالَ أَبُو جَهْل : أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بني فُلان ، يُلْقِيهِ عَلَى كَتفي مُحَمَّدٍ إِذَا

سَجَدَ ، فَانْبَعَثَ إليه أَشْقَى الْقَوْمِ عقبة بن معيط ، فَأَخَذَهُ و أتى به ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، فَاسْتَضْحَكُوا ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ ، مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ ، حَتَّى انطَلَقَ إِنْسَانٌ ، فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّـه عَنْهَا ، فَجَاءَتْ مُسْرِعة وَهِيَ حديثة السن ، فَطَرَحَتْهُ عَنْ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ ، فَشتمهُمْ جميعاً ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّـه ﷺ صَلَاتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بقريش ، فلما سمعوا صوته و دعاءه ، خافوا دعاءه ، و ذهب عنهم الضحك ، وقال : اللّهُمّ عليك بِأَبِي جَهْل بن هشام وَعُقْبَةَ وَشَيْبَةَ وَعُتْبَةَ وَالْوَلِيدِ وَ أُبَيّ بْنِ خَلَفٍ) ، قَالَ عَبْدُ اللَّـه بْنُ مَسْعُود : (وَالَّذِي بَعَثَه بِالْحَقِّ ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ) .

وقال عَبْدُ اللَّـه بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـه تَعَالَى عَنْهُمَا : شَكَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى رَبِّهِ ، فَقَالَ : يَا رَبُّ ، الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يُطِيعُكَ وَيَجْتَنِبُ مَعَاصِيكَ ، و تَزْوِي عَنْهُ الدُّنْيَا ، وَ تَعْرِضُ لَهُ الْبَلَاءُ ، وَ الْعَبْدُ الْكَافِرُ لَا يُطِيعُكَ ، وَيَجْتَرِئُ عَلَى مَعَاصِيكَ ، وتَزْوِي عَنْهُ الْبَلَاءَ وَتَبْسُطُ لَهُ الدُّنْيَا ، فَأَوْحَى اللَّـه تَعَالَى إِلَيْهِ : أَنْ الْعِبَادَ لِي ، وَالْبَلَاءَ لِي ، وَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ ، ما يستوجب عليه العقوبة مني ، فَأَزْوِي عَنْهُ الدُّنْيَا ، وَأَعْرِضُ لَهُ الْبَلَاءَ ، فَيَكُونُ ذلك كفارةٌ لذنوبِهِ ، حتى يلقَانِي فَأَجازِيه بِحَسَنَاتِهِ فِي الآخرة ، وَ يَكُونُ لِلْكَافِرُ حسنات

في الدنيا ، فَأَبْسُطُ لَهُ الرِّزْق ، وَ أَزْوِي عَنْهُ الْبَلَاءَ ، فأجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فأجازيه بسيئاته .

وَ رُوِيَ عنْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّـه عَنْهَا ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَا يُصِيبُ المُؤْمِنَ من نصبٍ ولا وصبٍ ، حَتَّى الشَوْكَة يشاكها ، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا حَطّ اللَّـه عَزّ وَ جَلّ بِهَا عَنْهُ خَطِيئَةً ، و رفع له بِهَا درجة في الجنة يوم القيامة).

البَابُ الثَّامِن

في فضل صلة الرحم

عَنْ عَبْدِ اللَّـه بْنِ أَبِي أَوْفَى ، قَالَ : كَنَّا جُلُوساً عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، عِنْدَ رَسُولِ اللَّـه ﷺ ، فَقَالَ : (لَا يحل لمسلمٍ أَمْسَى قَاطِعَ رحِمٍ أن يُجَالِسْنا فلِيَقُمْ عَنَّا ، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدُ إِلَّا رَجُلٌ واحد في أَقْصَى الْحَلْقَةِ ، فَمَكَثَ غيْرَ بَعِيدٍ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّـه ﷺ : (مَا لَكَ يا فُلَان ، لَمْ يَقُمْ أَحَدُ غيْرُكَ ؟) ، فقالَ : يَا رَسُول اللَّـه ، سَمِعْتُ الَّذِي قُلْتَه ، فَأَتَيْتُ خَالَةً لِي كَانَتْ تُصَارِمُنِي (أَيْ تُقَاطِعُنِي) ، فَقَالَتْ : مَا جَاءَ بِكَ إليّ ؟ ، فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي قُلْتَه آنفاً ، فَاسْتَغْفَرتْ لِي ، وَ اسْتَغْفَرْتُ لَهَا ، فَقَالَ رَسُول اللَّـه ﷺ : (أَحْسَنْتَ اجْلِسْ إلينْا ، فإِنَّ الرَّحْمَةَ لا تَنْزِلُ عَلَى قَاطِعِ رَحِمٍ ، ولا عَلَى قَوْمٍ بينهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ) .

فقال الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : فِي هَذا الْخَبَرِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ قَطْعَ الرَّحِمِ من أعظم الذنوب ، لِأَنَّ الرَّحْمَةَ لا تنزل عَلى جَلِيسهِ من أجله .

وَ رَوَى عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ : أن رَجُلاً أتى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : إِنَّ لِي أَرْحَاماً ، أَصِلُهم وَيَقْطَعُونِي ، وَأَعْفُو وَيَظْلِمُونِي ، وَأُحْسِنُ فَيُسِيئُونِ ، أَفَأُكَافِئُهُمْ يا نَبِيّ اللَّـه ؟ ، فَقَالَ : (لَا ، إِذْنَ تَشْتَرِكُونَ جَمِيعاً ، وَلَكِنْ خُذْ الْفَضْلِ وَصِلْهُمْ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ مَعكَ ظَهِيرٌ مِنَ اللَّـه مَا كُنْتَ عَلَى ذَلِكَ) .

و روي عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال : (ثَلَاثَةٌ مِنْ أَخْلَاقِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، لَا تُوجَدُ إِلَّا فِي الكَرِيمِ : الْإِحْسَانُ إِلَى الْمُسِيءِ ، وَالْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَالْبَذْلُ لِمَنْ حَرَمَهُ) .

وَ قَالَ يَحْيى بْنُ سُلَيْمٍ : كَانَ عِنْدَنَا بِمَكَّةَ رَجُلٌ مِنْ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ رَجُلاً صَالِحاً ، وَكَانَ النَّاسُ يُودِعُونَهُ وَدَائِعَهُمْ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَأَوْدَعَهُ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَخَرَجَ الرَّجُلُ فِي حَاجَتِهِ ، فَقَدِمَ الرَّجُلُ مَكَّةَ ، وَقَدْ مَاتَ الْخُرَاسَانِيُّ ، وَسَأَلَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ عَنْ مَالِهِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِفُقَهَاءِ مَكَّةَ وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ مُجْتَمِعِينَ مُتوافِرِينَ : أَوْدَعْتُ فُلَانًا عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارَ وَ قَدْ مَاتَ ، وَسَأَلْتُ وَلَدَهُ وَأَهْلَهُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِلْمٌ بِهَا ، فَمَا تَأْمُرُونَنِي ؟ ، فَقَالُوا : نَحْنُ نَرْجُو أَنْ يَكُونَ الْخُرَاسَانِيُّ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِذَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ ثُلُثُهُ أَوْ نِصْفَهُ ،

فَأْتِ زَمْزَمَ، فَاطْلُعْ فِيهَا ، وَنَادِ يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، أَنَا صَاحِبُ الْوَدِيعَةِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، فَأَتَاهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ ، فَقَالُوا : إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، نَحْنُ نَخْشَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبُكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأْمضي إِلى الْيَمَنَ فَإِنَّ فِيهَا وَادِياً ، يُقَالُ لَهُ : بُرْهُوتٌ ، وَبِهِ بِئْرٌ فَاطْلُعْ فِيهَا ، إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُهُ ، فَنَادِ يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ أَنَا صَاحِبُ الْوَدِيعَةِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُ فِي أَوَّلِ صَوْتٍ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ مَا أَنْزَلَكَ هَهُنَا وَقَدْ كُنْتَ صَاحِبَ خَيْرٍ ؟ ، قَالَ : كَانَ لِي أَهْلُ بَيْتٍ بِخُرَاسَانَ فَقَطَعْتُهُمْ حَتَّى مُتُّ ، فَآخَذَنِي اللَّـه بِذَلِكَ ، فَأَنْزَلَنِي هَذَا الْمَنْزِلَ ، فَأَمَّا مَالُكَ فَهُوَ عَلَى حَالِهِ ، وَإِنِّي لَمْ أَئْتَمِنْ وَلَدِي عَلَى مَالِكَ ، فَدَفَنْتُهُ فِي بَيْتِ كَذَا ، فَقُلْ لِوَلَدِي يُدْخِلُكَ فِي دَارِي ، ثُمَّ سِرْ إِلَى الْبَيْتِ وَاحْفُرْ ، فَإِنَّكَ سَتَجِدُ مَالَكَ ، فَرَجَعَ فَوَجَدَ مَالَهُ عَلَى حَالِهِ) .

قال الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : إِذَا كَانَ الإنسان في قَرَابَتِهِ وَلَمْ يغب عَنْهُمْ ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَصِلَهُمْ بِالْهَدِيَّةِ وَالزِّيَارَةِ والمعاونة في أحوالهم إن احتاجوا إليه ، فإن غاب عنهم بسفرٍ وصلهم بكتابه ، وما قدر عليه من الإحسان ، فإن أتاهم بنفسه فهذا أفضل .

و رُوِيَ أَنّهُ فِي أَنَّ فِي صِلَةِ الرَّحِمِ عَشْرَ خِصَالٍ مَحْمُودَةٍ ، أَوَّلُهَا : رِضَا اللَّـه ، وَالثَّانِية : إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ ، وَالثَّالِثة : أَنَّ الْمَلَائِكَة تفرح بذلك ، وَالرَّابِعة : حُسْنَ الثَّنَاءِ مِنَ الخلق ، وَالْخَامِسة إِدْخَالَ الهمْ و الْغَمِّ عَلَى إِبْلِيسَ

وجنوده ، وَالسَّادِسة : زِيَادَةُ الْعُمْرِ والبركة فيه ، بإتباع السنة الشريفة ، وَالسَّابِعة : البَرَكَة فِي الرِّزْقِ ، وَالثَّامِنة : سُرورُ الْأَمْوَاتِ بذلك ، وقد ورد في خبرٍ ، وَالتَّاسِعة : زِيَادَةٌ فِي الْمَوَدَّةِ ، وَالْعَاشِرة : زِيَادَةُ الْأَجْرِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، لِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ إذا ذَكَرُوا بإِحْسَانه إليهم .

وقال بعض العلماء : إن الرجل ليصل رحمه ، ما بقي من عمره إلا ثلاثة أيام ، فيزيد اللّـه تعالى في عمره ثلاثين سنة ، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاثون سنة ، فيحطه اللّـه ثلاثة أيام .

البَابُ التَّاسِعُ

في فضل حقوق الجار

عَنْ عَبْدِ اللَّـه بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي اللَّـه عنهما ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـه ﷺ : (سَبْعَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّـه إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمُ عذاب أليم ، يقول لهم : أدخلوا النار مع الداخلين ، أولهم الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ به ، يَعْنِي اللُّوَاطَ ، الثاني من ينكح يَدَهُ ، الثالث نَاكِحَ الْبَهِيمَةِ ، الرابع نَاكِحَ الْمَرْأَةَ فِي دُبُرِهَا ، وَالخامس نَاكِحَ الْمَرْأَةِ وَابْنَتَهَا ، السادس الذي يزني بِحَلِيلَةِ جَارِهِ ، السَّابع الْمُؤْذِي جَارَهُ ، حَتَّى يَلْعَنَهُ النَّاسُ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ) .

قَالَ عَبْدُ اللَّـه بْنُ عَمْرِو بْنُ الْعَاصِ لِغُلَامِهِ : إِذَا ذَبَحْتَ الشَّاةَ فَأَطْعِمْ جَارَنَا الْيَهُودِيَّ ، فَقَالَ له الْغُلَامُ : قَدْ آذَيْتَنَا بِجَارِكَ الْيَهُودِيِّ «مرتين» ، إذا كان لك به عناية ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّـه : وَيْحَكَ إِنَّ رَسُول اللَّـه ﷺ ما زال يُوصِينا بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ .

وقال الْحَسَن الْبَصْرِيِّ : قِيلَ لرَسُول اللَّـه ﷺ :يا نبيَّ اللَّـه ، مَا حَقُّ الْجَارِ عَلَى الْجَارِ ؟ ، قَالَ : (إِذا اسْتَقْرَضَكَ فأَقْرِضهُ ، وَإِذا دَعَاكَ فأَجبهُ ، وَإِذا مَرِضَ فعُدْهُ ، وَإِذا اسْتَعَانَ بِكَ فأَعِنهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فعزّهُ ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ فهنّئه ، وَإِنْ مَاتَ فأشَهدْهُ ، وَإِنْ غَابَ حَفِظْتَهُ ، يَعْنِي مَنْزِلَهُ وَعِيالَهُ ، وَلَا

تُؤْذِهِ بِرائحة قِدْرِكَ ، إِلَّا أَنْ تُهْدِي له منه ، ولا تُعَلّ بناءك على بنائه ، إلا بطيبِ نفسه) .

وَعَنْ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قال : قال رَسُول اللَّـه ﷺ : (كُنْ وَرِعاً تكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وكن تقياً تَكُنْ أشكر النَّاسِ ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِناً ، وَأَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِماً ، وَأَقْلِل الضَّحِكَ فَإِنَّ الضَّحِكِ يُمِيتُ الْقَلْبَ) ، قَالَ اللَّـه تعَالَى : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ ، ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ ، إي قولوا لهم أجمل الكلام ، وابن السبيل يعني الضيف ، والجار ذو القربى أي الذي بينك وبينه قرابة .

وَ رُوِيَ عَنْ النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : (الجِيرَانُ ثَلاثَةٌ : فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقَّانِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ : الْجَارُ ذو القربى والْمُسْلِمُ ، وَ الْجَارُ الَّذِي لَهُ حَقَّانِ فَجَارُكَ البعيد الْمُسْلِمُ ، وَالَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ الذِّمِّيُّ) .

وقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه : أَوْصَانِي رَسُول اللَّـه ﷺ بِثَلَاثة فقَالَ : (يا أبا ذرٍّ ، اسْمَعْ وَأَطِعْ من وُلِّيَ عليك ، وإن كان عبداً حبشياً مجدعاً ، وَإِذَا صَنَعْتَ مَرَقاً

فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وصُب منها لبَيْتِ جارك ، ولو مغرقةً واحدة ، وَصَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا) .

و قَالَ عَمْرُوُ بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه : لَيْسَ الْوَاصِلُ الَّذِي يَصِلُ مَنْ وَصَلَهُ ، وَيَقْطَعُ مَنْ قَطَعَهُ ، فذَلِكَ الإنصاف ، وَ لكن الْوَاصِل يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ، ويعطي من حرمه ، وَلَيْسَ الْحَلِيمُ الَّذِي يَحْلُمُ عَلى قَوْمِهِ إذا حَلِمُوا عليه ، وَإِذَا جَهِلُوا عَلَيْهِ جَاهَلَهُمْ ، فهذا الْمُنْصِفُ ،ولكن الْحَلِيم الَّذِي يَحْلُمُ إِذَا جَهِلُوا عَلَيْهِ .

وقال ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـه تَعَالَى عَنْهُما : كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثَلَاثَةُ أشياء حسنة ، والمؤمنون أَوْلَى بِهَا : كانوا إذا نَزَلَ بِهِمْ الضَيْف اجْتَهَدُوا فِي بِرِّهِ وإكرامِهِ ، وإذا كان لأحدهم إمراة ، فبلغت ما بلغت من الكبر ، لم يُطَلِّقها مخافة أن تضيع ، وَإِذَا أصاب الجار بينهم غرم أو شدة ، اجْتَهَدُوا حَتَّى يَقْضُوا دَيْنَهُ وَيخففوا شِدّته) .

وقال سُفْيَانَ الثوري : عَشَرَة مِنَ الْجَفَاءِ : الأول : من دعا لِنَفْسِهِ و ترك أبويْهِ وَالْمُؤْمِنِينَ والمؤمنات ، وَالثَّانِي : رَجُلٌ تعلم الْقُرْآنَ ، وَلَمْ يَقْرَأُ منه آية فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَالثَّالِثُ : رَجُلٌ دَخَلَ مَسْجِداً وَلَمْ يُصَلِّ فيه رَكْعَتَيْنِ ، وَالرَّابِعُ : رَجُلٌ يَمُرُّ عَلَى الْمَقَابِرِ وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَدْعُ لَهُمْ ، وَالْخَامِسُ : رَجُلٌ دَخَلَ مَدِينَةً يَوْمِ الْجُمْعَةِ ، و خَرَجَ وَلَمْ يُصَلِّ الْجُمْعَةَ ، وَالسَّادِسُ : رَجُلٌ نَزَلَ فِي بلدةِ

فقيهٍ عَالَم ، وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ أَحَدٌ لِيَسْتَفيد مِنْهُ عِلْماً ، وَالسَّابعُ : رَجُلَانِ تَرَافَقَا ، وَلَمْ يَسْأَلْ كُلّ وَاحِدٍ الآخر عَنِ اسْمِهِ ، وَالثَّامِنُ : من لَهُ صَاحِبٌ دَعَاهُ إِلَى وَلِيمةٍ فَلَمْ يجبه ، وَالتَّاسِعُ : شَابٌّ ضيّع شَبَابُهُ وَلَمْ يَطْلُبِ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ ، وَالْعَاشِرُ : رَجُلٌ شَبْعَانُ وَجَارُهُ جَائِعٌ .

قال الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : تمام حسن الجوار في أربعة أشياء ، أولها : أن يواسيه بما عنده ، والثانية : ألا يطمع فيما عنده ، والثالثة : يمنع عنده أذاه ، والرابعة : يصبر على أذاه ، فإن ذلك ينفعه غداً يوم القيامة .

البَابُ العَاشِرُ

في فضل الصلاة على النبي ﷺ

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : (مَا مِنْكُمْ من أَحَدٍ ، يُسَلِّمَ عَلَيَّ إِذَا مُتُّ ، إِلَّا جَاءَنِي سلامه مع جِبْرِيل ، يقول لي : يَا مُحَمَّدُ ، هَذَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ ، يُسلّمُ عَلَيْكَ ، فَأَقُولُ : وَعَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرَحْمَةُ اللَّـه وَبَرَكَاتُهُ) .

قَالَ عُمَرُ بن الْخَطّاب رضي الله عنه : بَلَغَنِي أَنَّ الدُّعَاءَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ ، حتى يُصَلِّى عَلَى النَبِيِّ ﷺ .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّـه عَنْهُما ، أَنَّ رَسُولَ اللَّـه ﷺ ، صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَقَالَ : (آمِينَ) ، ثُمَّ صَعِدَ فَقَالَ : (آمِينَ) ، ثُمَّ استوى فَقَالَ : (آمِينَ) ، فجلس ، فقال له معاذ بن جبل : يا رَسُول اللَّـه قلت آمين ثلاثاً ، فقال : (أَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّـه تعالى ، فقُلْتُ آمِينَ ، ثم قَالَ لي : مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ، فَلَمْ يَبَرَّهُمَا فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ ، فَأَبْعَدَهُ اللَّـه تعالى ، قُلْتُ : آمِينَ ، ثم قَالَ لي : وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ ، فَأَبْعَدَهُ اللَّـه تعالى ، فقُلْتُ آمِينَ) .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّـه رضي اللَّـه عنهما ، قال : قال رسول اللَّـه ﷺ : (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ ، قَضَى اللَّـه لَهُ بها مِائَةَ حَاجَةٍ ، سَبْعِينَ مِنْهَا للْآخِرَةِ وَثَلَاثِينَ للدُّنْيَا) .

و عَنْ النَبِيِّ ﷺ ، قَالَ : (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مرة ، صَلَّى اللَّـه عَلَيْهِ عَشْراً) .

و عنه ﷺ ، قال : (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي مُخْلِصاً مِنْ قَلْبِهِ صَلَاةً وَاحِدَةً ، صَلَّى اللَّـه عَلَيْهِ بِها عَشْرَ صَلَوَاتٍ ، وَ رَفَعَ لَهُ بها عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ) .

وعن سُفْيَانُ الثَّوْرِيّ قال : (رَأَيت رَجُلاً في الطواف ، لَا يَرْفَعُ قَدَماً ، وَلَا يَضَعُهَا ، إِلَّا قال : (اللَّهُمَّ صلِّ عَلَىَ محمدٍ) ، قَالَ : فقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا تَرَكْتَ التَّسْبِيحَ والتكبير وَالتَّهْلِيلَ ، وَأَقْبَلْتَ على الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فهَلْ عِنْدَكَ مع هَذَا شَيْءٌ ؟ ، فقَالَ : مَنْ أَنْتَ عَافَاكَ اللَّـه ؟ ، قُلْتُ : سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، قَالَ : خَرَجْتُ أنا وَ وَالِدِي للحج ، حَتَّى إِذَا كُنَّا ببَعْضِ الْمُنَازِلِ ، مَرِضَ وَالِدِي فاسْوَدَّ وَجْهُهُ فسجيته ، وَغَلَبَنِي النوم ، فرأيت رجُلاً لَمْ أَرَى أَجمل مِنْهُ ، وَلَا أَطْيَبَ مِنْهُ رِيحاً، فدَنَا مِنْ أبي وَكَشَفَ الإِزَار عَنْ وَجْهِهِ بيده ، فعاد وجه أبي أبيض ، ثم ولّى راجعاً ، فَتَعَلَّقْتُ بِهِ ، وَقُلْتُ : لقد مَنَّ اللَّـه عَلَى أبي بِك ، فمن أنت ؟ ، فقَالَ : (أَنَا مُحَمَّدٌ رَسُول اللَّـه ، وكَانَ أبوك مُسْرِفاً عَلَى نَفْسِهِ ،

وَلَكِنْ يُكْثِرُ الصَّلَاةَ والسلام عَلَيَّ ، فَلَمَّا نَزَلَ به ما نزل ، اسْتَغَاثَ بِي ، وَ أَنَا غِيَاثٌ لِمَنْ أَكْثَرَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ) ، قَالَ : فَانْتَبَهْتُ فَإِذَا وَجْهُ أَبِي أَبْيَض .

و رُوِيَ عَنْ النَّبِيَّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : (مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ ، فَقَدْ أَخْطَأَ طَرِيقَ الْجَنَّةَ) .

وَعَنْ أَبِي بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : (أَرْبَعٌ مِنَ الْجُفَاءِ : أَنْ يَبُولَ الرَّجُلُ وَهُوَ قَائِمٌ ، وَأَنْ يَمْسَحَ جَبْهَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَأَنْ يَسْمَعَ النِّدَاءَ ، وَلَا يَشْهَدُ كَمَا يَشْهَدُ الْمُؤَذِّنُ ، وَأَنْ أُذْكَرَ عِنْدَهُ وَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ) .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قال : قال رَسُول اللَّـه ﷺ : (صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ عَلَيَّ زَكَاةٌ لَكُمْ ، وَاسْأَلُوا اللَّـه لِيَ الْوَسِيلَةَ) ، قَالُوا : وَمَا الْوَسِيلَةُ يَا رَسُولَ اللَّـه ؟ ، قَالَ : (أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ ، لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ ذلك الرجل) .

وإذا أردت أن تعلم أن الصلاة على النَّبِيِّ ﷺ ، أفضل العبادات ، فانظر إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ ، فأمر اللَّـه عباده بسائر العبادات ، وأما الصلاة على النَّبِيِّ فقد صلّى عليه بنفسه أولاً ، ثم أمر الملائكة بالصلاة عليه ، ثم أمر

المؤمنين بالصلاة عليه ، فثبت بهذا أن الصلاة على النَّبِيِّ ﷺ من أفضل العبادات .

و عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّـه ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ ، قَالَ : (قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الصلاة عليه أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِك الْغَافِلُونَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّلَاةُ عَلَيْهِ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ مَلَائِكَتَكَ ، أَنِّي أُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ .

وكل هذا حسنٌ ، وقال جمعٌ من بعض العلماء رضي الله عنهم : يُكره إفراد الصلاة على النَّبِيِّ ﷺ دون السلام ، لأن اللّـه سُبْحَانه وَ تَعَالى جمع الصلاة والسلام عليه في مقامٍ واحد ، في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ ، والشيء المكروه ليس فيه ثواب ، وهذا هو الصحيح المعتمد .

البَابُ الحَادِي عَشَرَ

في هول يوم القيامة وأفزاعها

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّـهِ هَلْ يَذْكُرُ الْحَبِيبُ حَبِيبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ ، قَالَ : (أَمَّا عِنْدَ ثَلَاثٍ فَلَا : عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أيخف ميزانه أم يَثْقُلَ ، وَعِنْدَ تَطَايُرِ الصُّحُفِ ، حَتَّى يَعْلَمَ أَيُعْطَى كتابه بِيَمِينِهِ أم بِشِمَالِهِ ، وَحِينَ يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ ، فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ ، فَيَقُولُ : إِني وُكِّلْتُ بِثَلَاثٍ : بِمَنْ دَعَا مَعَ اللَّـه إِلَهاً آخَرَ ، وَبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَبِكُلِّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ، فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ حَتَّى يَرْمِيَ بِهِمْ فِي غَمَرَاتِ جَهَنَّمَ ، وَلِجَهَنَّمَ يومئذ جِسْرٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرة ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ ، عَلَيْهِ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ ، وَالنَّاسُ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ ، وَكَالرِّيحِ الْعَاصِفِ ، فَمنهم نَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَ مَخْدُوشٌ مُسَلَّمٌ وَمَكْبُوبٌ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ ، قال : قال رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ : (مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ عاماً ، ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّـهُ مَاءً كَمَنِيِّ الرِّجَالِ ، فَيَنْبُتُونَ فِي الأرض كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ) .

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ ، قال : قال رَسُول اللَّـهِ ﷺ : (لَمَّا فَرَغَ اللَّـهُ تَعَالَى مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، خَلَقَ الصُّورَ وَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ ، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلَى فِيهِ ، شَاخِصاً بِبَصَرِهِ إِلَى الْعَرْشِ ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ بالنفخ فينفح ، قَالَ :

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ ، وَمَا الصُّورُ ؟ ، قَالَ : (قَرْنٌ مِنْ نُورٍ) ، قُلْتُ : كَيْفَ هُوَ ؟ ، قَالَ: (عَظِيمٌ ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ ، لَعرض دَارَةٍ فِيهِ كَعَرْضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ويُنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثَ نَفْخَاتٍ ، وفِي روايةٍ نَفْخَتَينِ ، نَفْخَة الْهَلَاكِ ، وَنَفْخَة الْبَعْثِ ، وفِي روايةٍ نَفْخَة الصعق ، و نَفْخَة الفزع الأكبر ، فَيأْمُرُ اللَّـهُ إِسْرَافِيلَ بالْأُولَى ، فَيَنْفُخُ فَيَفْزَعُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ ، وَتتزَلْزَلُ الْأَرْضُ ، ﴿ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴾ ، وَيَصِيرُ الْوِلْدَانِ شَيْباً ، ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّـهُ إِسْرَافِيلَ ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الصَّعْقِ ، فَيُصْعَقُ أَهْلُ السَّمواتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ ، يَعْنِي يَمُوتُون إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّـهُ ، قيل أَرْوَاحَ الشُّهَدَاء ، وَقِيلَ جِبْرِيل وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمَلَكَ الْمَوْتِ عزرائيل ، ويقَوْلُ اللـّه تَعَالَى : يا مَلَكِ الْـمَوْتِ ، مَنْ بَقِيَ مِنْ خلقي ؟ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ بَقِيَ جِبْرِيلُ وميكائيل وَإِسْرَائِيلُ وَحَمَلَةُ العَرْش ، وَعبدك الضعيف مَلَكَ الْـمَوْتِ ، فيأمر اللّـه تَعَالَى بِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ) ، هَكَذَا رَوَاه الْكَلْبِيّ .

وفِي الحديث ، قَالَ رَسُول اللَّـهِ ﷺ : (أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ) .

وفي بعض الأخبار : إِنَّ اللَّـهَ تَعَالَى إِذَا أَحيَا جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ ، فيأتُونَ إلى قَبْرِ سيدنا محمدٍ ﷺ ، مَعَهُمُ الْبُرَاقُ وَحُلَلٌ مِنَ الجْـنَّةِ ، فَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ ، فَينْظُرُ إِلَى جِبْرِيلَ ، فَيَقُولُ : ما هذا اليوم ، فَيَقُولُ : هَذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ: (يَا جِبْرِيلُ مَا فَعَلَ اللَّـهُ بِأُمَّتِي) ، فَيَقُولُ جِبْرِيلُ : أَبْشِرْ يا محمد ، أنت أَوَّلُ مَنْ انْشَقت عَنْهُ الْأَرْضُ ، و الجْـنَّةَ محرمةٌ على سائر الأمم حتى تدخلها أنت وأمتك ، قال : ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّـهُ تَعَالَى إِسْرَافِيلَ فَيَنْفُخُ فِي الصُّورِ ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، وهم حُفَاةً عُرَاةً ، يَقِفُونَ مَوْقِفًا وَاحِداً ، مقداره أربعون سنة وقيل سبعون سنة ، لَا يَنْظُرُ اللَّـه إِلَيْهِمْ وَلَا يَقْضِي بَيْنَهُمْ ، فَيَبْكُونَ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ فَيَبْكُونَ دَماً ، فيأخذهم العرق من شدة الحر ، حتى يَبْلُغَ الْأَذْقَانَ ، فيَدْعُونَ إِلَى الْـمَحْشَـرِ ، فذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى :﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ ، فَبَيْنَمَا هُمْ واقفون إِذْ سَمِعُوا حِسّاً شَدِيداً فيهُولَـهُم ، فإذا الملائكة أفواجاً أفواجاً ، فيقول الخلق : أفيكم رَبُّنَا ؟ ، فيقولون : لا ولكن هو آتٍ ، يَعْنِي يَأْتِي بِأَمْرِهِ بِالحِسَابِ ، ثُمَّ يَأتِي أَهْلُ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَيَقفونَ صَفّاً خَلْفَ أَهْلِ سَمَاءِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ تَنزِلُ أَهْلِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ثُمَّ الرابعة ثُمَّ الخامسة ثُمَّ السادسة ثُمَّ السابعة ، حَتَّى تَنزِلَ مَلَائِكَة السَّبعِ سَمَوَاتِ ، وَيَقُومُونَ حَوْلَ أَهْلِ الدُّنْيَا .

وَعن أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه ، أن رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ ، قَالَ : (يَا مَعْشَـرَ الإِنْسِ ، إِنِّي نَصَحْتُ لَكُمْ ، وَإِنَّمَا هِيَ أَعمَالُكُمْ فِي صُحُفِكُمْ ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ

اللّـه ، وَمَنْ وَجَدَ غيرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ) ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّـهُ تعالَى جَهَنَّمَ ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا عُنقٌ سَاطِعٌ مُظْلِمٌ ، فَيَقُولُ : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ ، فَتَجثُو الأُمَمُ على رُكبها ، وَهو قَوْلُهُ تعالَى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةًۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ﴾ ، ثم يَقْضِي اللَّـهُ عزّ وجلّ بَيْنَ خَلْقِهِ ، وَيَقْضِي بَيْنَ الْوُحُوشِ ، وَالْبَهائِمِ ، حَتَّى إِنَّهُ يَقْضِي لِلشَّاةِ الجَمَّاءِ مِنَ الشَّاةِ القرناء ، ثُمَّ يَقُولُ كُونُوا تُراباً ، فَعِنْدَ ذَلِكَ ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ ، ثُمَّ يَقْضِي بَيْنَ الْعِبادِ .

وَعَنْ مُعاذِ بْنِ جبَلٍ رضي الله عنه ، قال : قال رَسُول اللّـهِ ﷺ : (لَا تزول قَدَمَ عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبعٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ عَمِلَ بِهِ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ) .

و عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ، قال رَسُول اللّـهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : (لَمْ يَكُنْ قَطُّ نَبِيٌّ إِلَّا ولَهُ دَعْوَةٌ يدعوا بها لأمته ، وَإِنِّي اسْتَخْبَأْتُ دعوتي لتكون شَفَاعة لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيامَةِ ، أَلَا وَإِني سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، وَلَا فَخْرَ ، و أنا

أول من تنشق الأرض عنه وَلَا فَخْرَ ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وتَحْتَهُ آدَمُ وَمَنْ معه من ذريته) .

ثُمَّ قَالَ رَسُول اللّـهِ ﷺ : (يَشْتَدُّ غَمّ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَكَرْبُهُ على النَّاسِ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : يَا أَبَا الْبَشَرِ اشْفَعْ لَنَا عند رَبِّكَ لِيَقْضِيَ بيْنَنَا ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكَ إِنِّي قَدْ أُخْرِجْتُ مِنَ الْجُنَّةِ بِخَطِيئَتِي وَلَا يُهِمُّنِي إِلَّا نَفْسِي ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِنُوحٍ فَإِنَّهُ أَوَّلُ الْمُرْسَلِينَ ، فَيَأْتُونَ نُوحاً فيَقُولُونَ له : أنت أول المرسلين ، وأطول الأنبياء عُمْراً ، فاشفع لنا إلى ربك يقضي بيننا ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكَ ، إِنِّي دَعَوْتُ دَعْوَةً أَغْرَقْت أَهْلَ الْأَرْضِ ، وَإِنِّي لَا يُهِمُّنِي إِلَّا نَفْسِي ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللَّـهُ خَلِيلاً ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُونَ : أنت خليل اللّـه ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ لِيَقْضِيَ بَيْنَنَا ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكَ ، إِنِّي قَدْ كَذَبْتُ فِي الْإِسْلَامِ ثَلَاثَ مرات) .

قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : (وذلك أنه جَادَلَ بِهِنَّ عَنْ دِينِ اللّـهِ تَعَالَى ، إِحْدَاهُمَا قَوْلُهُ : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وَالثَّانِيَةُ قَوْلُهُ : ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ ، وَالثَّالِثَةُ قَوْلُهُ عن امْرَأَتِهِ إِنَّهَا أُخْتِي ، قال ثم يقول : لا يُهِمُّنِي إِلَّا نَفْسِي ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى الَّذِي اتخذه اللَّـهُ صَفياً ، وكَلَّمَهُ تَكْلِيماً ، فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُونَ : أنت كليم اللّـه ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ لِيَقْضِيَ بَيْنَنَا ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكَ ، إِنِّي قَتَلْتُ نَفْساً بِغَيْرِ نفسٍ ، وَلَا يُهِمُّنِي إِلَّا نَفْسِي ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللّـهِ

وَكَلِمَتَهُ ، فَيَأْتُونَ عيسى ، فَيَقُولُونَ : أنت روح اللَّـه وكلمته ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ لِيَقْضِيَ بَيْنَنَا ، فَيَقُولُ : إِنِّي اتُّخِذْتُ أَنَا وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّـه ، وَإِنِّي لا يُهِمُّنِي إِلَّا نَفْسِي ، وَلَكِنْ أَرَأَيْتُم لَوْ كَانَ لِأَحَدِكُمْ بِضَاعَةٌ فَجَعَلَهَا فِي كِيسٍ ، ثم خَتَمَ عَلَيْهَا أَيَصِلُ إِلَى مَا فِي الْكِيسِ حَتَّى يَفُضَّ الْخَتْمَ ؟ ، فَيَقُولُونَ : بلَى ، فيقول لهم : إن مُحَمَّداً ﷺ خاتم الأنبياء ، وقد غَفَرَ اللّـه له ما تقدّم وما تأخر ، ائتوه ، فقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : فيأتني الناس ، فيقولون : اشفع لنا إلى ربك ليقضي بيننا ، فأقول لهم : نعم أنا لها ، أنا لها ، حتى يأذن اللّـه لمن يشاء ويرضى ، فيلبث ما شاء اللّـه ، قال : فإذا أراد اللّـه أن يقضي بين خلقه ، نادى منادٍ : أين محمد وأمته ، فنحن الآخرون ، ونحن الأولون يوم القيامة ، فأقوم أنا وأمتي فتُفرِجُ لنا الأممُ عن طريقنا فنحن بيضُ الوجوهِ ، غُرٌّ محجّلون من آثار الوضوء ، فَيَقُولُ النَّاسُ : كَادَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ كُلُّهَا أَنْبِيَاءَ ، ثُمَّ أَتَقَدَّمُ إِلَى الجَـنَّةِ ، فَاسْتَفْتِحُ بابها ، فَيُقولُ الخازن : مَنْ أنت ؟ ، فَأَقُولُ : أَنَا مُحَمَّدٌ العربي ، فَيُفْتَحُ لِي فَأَدْخُلُ الجَـنَّة ، فَأَخِرُّ سَاجِداً لِرَبِّـي ، وَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ قَبْـلِي ، فَيُقَالُ لي : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ تُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَسَلْ تُعْطَ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي وَأَشْفَعُ لِمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنَ الْإِيمَانِ ، أو خُرمٌ إبرةٍ مِنَ الْيَقِينِ ، مَعَ شِهَادَةِ أَلا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّـهِ) .

وَذكرَ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ الرَّازِيِّ ، أَنَّهُ قُرِئَ فِي مَجْلِسِهِ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ يَعْنِي مُشَاةً عِطَاشاً ، قَالَ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ : أَيُّهَا النَّاسُ مَهْلاً مَهْلاً غَداً تُحْشَرُونَ إِلَى الْمَوْقِفِ ، حَشْراً حَشْراً ، وَ تَأْتُونَ مِنَ الْأَطْرَافِ فَوْجاً فَوْجاً ، و تقفونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّـهِ فَرْداً فَرْداً ، وَتُسْأَلُونَ عَمَّا فعلْتُمْ حَرْفاً حَرْفاً ، وَتُقَادُ الْأَوْلِيَاءُ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً وَفْداً ، وَيُرَدُّ الْعَاصُونَ إِلَى عَذَابِ اللَّـهِ وِرْداً وِرْداً ، وَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ حِزْباً حِزْباً ، وَكُلُّ هَذَا هَذَا ﴿ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ ، فالْوَيْلُ ثُمّ الوَيْل لأَهلِ الوَيْل مِنْ يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وهو يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ يَوْمَ النَّدَامَةِ وَ يَوْمَ الرَّادِفَةِ ، ويَوْمَ الْآزِفَةِ ، ويَومَ الْحَسْرَةِ ، وَذَلِكَ يَوْمٌ عَظِيمٌ و يَوْمٌ عَقِيمٌ ، و يَوْمَ يَقُدّم النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَ يَوْمُ الْمُنَاقَشَةِ ، وَيَوْمُ الْـمُوَازَنَةِ ، وَيَوْمُ الزَّلْزَلَةِ ، وَيَوْمُ الْـمُسَاءَلَةِ ، وَيَوْمُ الدمدمةِ ، وَيَوْمُ الصَّيْحَةِ ، وَيَوْمُ النُّشُورِ ، وَيَوْمَ ﴿ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ ، وَ ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ ﴾ ، وَ ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ، وَ يَوْمَ ﴿ لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ ، و ﴿ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ (أَيْ مُنْتَشِراً فَاشِياً) ، ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ

مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ ، و﴿ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا ﴾ ، يَوْمَ ﴿ تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴾ ، أعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ شَرِّ هَذَا اليَوْمِ .

البَابُ الثَّانِي عَشَرَ

في صفة أهل النار ، أعاذنا الله وإياكم منها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم : (أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ، و أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ، و أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ ، فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمة) .

و ذُكر عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَرْثَدٍ رضي الله عنه ، أَنَّهُ كَانَ لَا تَنْقَطِعُ الدُمُوعُ عن عَيْنَيْهِ ، وَلَم يَزل بَاكِياً حزيناً ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ اللَّـهَ أَوْعَدَنِي بِأَنِّي لَوْ أَذْنَبْتُ ذَنْباً لَحبَسَنِي فِي الْحمام أَبَداً ، كَانَ حَقَّاً عَلَيَّ أَلَا تَنْقَطِعَ دُمُوعِي ، فَكَيْفَ وَقَدْ أَوْعَدَنِي أَنْ يَحْبِسَنِي فِي نَارٍ قَدْ أُوقِدَ عَلَيْهَا ثَلَاثَةَ آلَافِ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ثُمّ ابْيَضَّتْ ثُمّ اسْوَدَّتْ .

وقال مُجَاهِدٍ : إِنَّ في جَهَنَّمَ جِبَاباً فِيهَا حَيَّاتٌ كَأَمْثَالِ أَعْنَاقِ الْإِبِلِ ، وَعقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبِغَالِ الدهم ، فَيَهْرَبُ أَهْلُ النَّارِ إِلَى تِلْكَ الأجباب ، فتأخذ

تلك الحيات شِفَاهِهم ، فَتَكْشُطْ مَا بَيْنَ الشَّعْرِ إِلَى الظُّفْرِ ، فَمَا يُنَجِّيهِمْ مِنْهَا إِلَّا الْهُرَبُ إِلَى النَّارِ) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ ، قَالَ : (فِي النَّارِ حَيَّاتٍ كَأَمْثَالِ أَعْنَاقِ الْإِبِلِ ، تَلْسَعُ أَحَدَهُمْ لَسْعَةً يَجِدُ حَرَّهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفاً) .

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، قَالَ : إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ لـجُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ تِلْكَ النَّارِ ، وَلَوْلَا أَنَّهَا ضُرِبَتْ فِي الْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ ، لَمَا انْتَفَعْتُمْ مِنْهَا بِشَيْءٍ .

و عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، قَالَ : جَاءَ جِبْرِيلُ للنَّبِيِّ ﷺ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِ فِيهَا ، وهو مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : (مَا لِي أَرَاكَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ ؟) ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ جِئْتُكَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّـهُ تَعَالَى بِمَنَافِخِ النَّارِ أَنْ تُنْفَخَ فِيهَا ، فَيَنْبَغِي لـمَنْ عَرِفَ أَنَّ جَهَنَّمَ حَقٌّ ، وَأَنَّ عَذَابَ اللَّـه شديد ، و أَنْ لا تَقَرَّ عَيْنُهُ حَتَّى يَأْمَنَ مِنْهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (يَا جِبْرِيلُ صِفْ لِي جَهَنَّمَ) ، فقَالَ : نَعَمْ يَا مُحَمَّد ، إِنَّ اللَّـهَ تَعَالَى لـمَّـا خَلَقَ جَهَنَّمَ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حتى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ ، لَا يَنْطَفِئُ لَهِيبها ، ولا ينفذ عَذَابهَا ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيّاً يَا مُحَمَّد ، لَوْ أَنَّ مثل خرم الإبرة فُتِحَ ، لأحرق أَهْل الدنيا عن آخرهم ، ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيّاً ، لَوْ أَنَّ ثَوْباً مِنْ ثياب أَهْلِ النَّارِ عُلِّقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَمَاتَ أَهْلِ الْأَرْضِ عن آخرهم ، لما يجدون مِنْ نَتَنِ ريحه ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيّاً ، لَوْ أَنَّ ذِرَاعاً مِنَ السِّلْسِلَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّـهُ

تَعالَى فِي كِتَابِهِ ، وُضِعَ عَلَى جَبَلٍ لَذَابَ ذاك الجَبل ، حَتَّى يَبْلُغَ الْأَرْضَ السَّابِعَةَ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيّاً لَوْ أَنَّ رَجُلاً بِالْـمَغْرِبِ يُعَذَّبُ ، لَاحْتَرَقَ الَّذِي بِالْـمَشْرِقِ مِنْ شِدَّةِ عَذَابِهَا ، حَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحُلِيُّهَا حَدِيدٌ ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ ، وَثِيَابُهَا سَرَابِيلُ القَطِرَان ، لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (يَا جِبْرِيل ، أَهِيَ كَأَبْوَابِنَا هَذِهِ؟) ، قَالَ : بَلى ، وَ لَكِنَّهَا مَفْتُوحَةٌ ، بَعْضُهَا أَسْفَلُ مِنْ بَعْضٍ ، ومَا بَين البَابَيْنِ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ سَنَةً ، كُلّ مِنْهَا أَشَدُّ حَرّاً مِنَ الَّذِي يَلِيهِ سَبْعِينَ ضِعْفاً ، يُسَاقُ أَعْدَاءُ اللَّـهِ إِلَيْهَا فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَيها ، اسْتَقْبَلَتهُم الزَّبَانِيَةُ بالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ وَالمقاصع الثقال ، وأن الرجل منهم تُسْلَكُ السِّلْسِلَةُ فِي فِيهِ وَتَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهِ ، وَتُغَلُّ يَدُهُ الْيُسْـرَى إِلَى عُنُقِهِ ، وَتَدْخُلُ يَدُهُ الْيُمْنَى فِي فُؤَادِهِ ، وَتُنْزَعُ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ ، وَتُشَدُّ بِالسَّلَاسِلِ ، وَيُقْرَنُ كُلُّ آدَمِيٍّ مَعَ شَيْطَانٍ فِي سِلْسِلَةٍ ، وَيُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ وَتَضْرِبُهُ الْمَلَائِكَةُ ، بِمَقَامِعَ مِنْ حَدِيدٍ ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ، وقِيلَ لَـهُم : ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝١٨١ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (يَا جِبْرِيلُ ، مَنْ سُكَّانُ هَذِهِ الْأَبْوَابِ؟) ، فَقَالَ لَهُ : أَمَّا الْبَابُ الْأَسْفَلُ : فِيهِ الْـمُنَافِقُونَ ، وَمَنْ كَفَرَ مِنْ أَصْحَابِ الْـمَائِدَةِ ، وَآلِ فِرْعَوْنَ ، وَاسْمُهُ الْهَاوِيَةُ ، وَأَمّا الْبَابُ الثَّانِـي : فَفِيهِ الْمُشْـرِكُونَ وَاسْمُهُ الْـجَحِيمُ ، وَأَمَّا

الْبَابُ الثَّالِثُ : فَفِيهِ الصَّابِئُونَ وَ اسْمُهُ سَقَرٌ ، وَأَمّا الْبَابُ الرَّابِع : فَفِيهِ إِبْلِيسُ وَ جنوده وأتباعه وَالْمُجُوسُ وَاسْمُهُ لَظَى ، وَأَمّا الْبَابُ الْخَامِسُ : فَفِيهِ الْيَهُودُ وَاسْمُهُ الحُطَمَةُ ، وَأَمّا الْبَابُ السَّادِسُ : فَفِيهِ النَّصَارَى وَاسْمُهُ السَّعِيرُ ، ثُمَّ أَمْسَكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاّم ، فَقَالَ لَهُ النبيُّ ﷺ : (أَلَا تُخْبِرُنِي مَنْ سُكَّانُ الْبَابِ السَّابِعِ؟) ، فقال له : يا مُحَمّد ،لا تسألني عنه ، فقال له : بل أخبرني عنه ، فَقَالَ : فِيهِ أَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ مَاتُوا وَلَمْ يَتُوبُوا ، فَخَرَّ النَّبِيُّ ﷺ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ ، فَوَضَعَ جِبْرِيلُ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهِ حَتَّى أَفَاقَ ، فقَالَ : (يَا جِبْرِيلُ عَظُمَتْ مُصِيبَتِي وَاشْتَدَّ حُزْنِي أَيَدْخُلُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي النَّارَ) ، قَالَ : نَعَمْ ، أَهْلُ الْكَبَائِرِ ، فقَام فدَخَلَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ مَنْزِلَهُ ، وَاحْتَجَبَ عَنِ النَّاسِ ثلاثة أيام ، فَكَانَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا فِي الصَّلَاةِ ، وَلَا يُكَلِّمُ أَحداً ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الرابع ، أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه حَتَّى وَقَفَ بِالْبَابِ ، فقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ بَيْتِ الرَّحْمَةِ ، هَلْ إِلَى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ مِنْ سَبِيلٍ ؟ ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، فَأَقْبَلَ عُمَرُ ، فَوَقَفَ بِالْبَابِ ، وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ الرَّحْمَةِ ، هَلْ إِلَى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ مِنْ سَبِيلٍ؟ ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، فَتَنَحَّى وَهُوَ يَبْكِي ، فَأَقْبَلَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ، حَتَّى وَقَفَ بِالْبَابِ ، وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ الرَّحْمَةِ ، هَلْ إِلَى مَوْلَايَ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ مِنْ سَبِيلٍ؟ ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، فَأَقْبَلَ مَرَّةً يَبْكِي و مَرَّةً يَقَعُ عَلَى وَجْهِهِ ، حَتَّى أَتَى بيْت فَاطِمَةَ رَضِيَ اللّـهُ عَنْهَا ، فَوَقَفَ عَلَى الْبَابِ ،

و قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا بنت نَبِيَّ اللَّـه ، إِنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ ، قَدِ احْتَجَبَ عَنِ النَّاسِ ، فَلَا يَخْرُجُ إِلَّا إِلَى الصَّلَاةِ ، ولم يُكَلِّمُ أَحداً ، وَلَا يَأْذَنُ لِأَحَدٍ أن يَدْخُلَ عَلَيْهِ ، فَاشْتَمَلَتْ فَاطِمَةُ بِعبَاءَةٍ قُطْرانِيَّةٍ ، ثم أَقْبَلَتْ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ ، فقَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّـهِ ، أَنَا فَاطِمَة ، وَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ سَاجِدٌ يَبْكِي ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : (مَا بَالُ قُرَّةِ عَيْنِي حُجِبَتْ عَنِّي ، فافْتَحُوا لَهَا الْبَابَ) ، فَفُتِحَ لَهَا ، فَلَمَّا نظَرَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ بَكَتْ بُكَاءاً شَدِيداً ، لَمَّا رَأَتْ مِنْ حَالِهِ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا أبت مَا الَّذِي نَزَلَ ؟ ، فَقَالَ : (يَا بُنَية إِنَّ جِبْرِيل وَصَفَ لِي جَهَنَّمَ ، وَأَخبَرَنِي أَنَّ فِي أَعْلَى أَبْوَابها أَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي ، فَذَلِكَ أَبْكَانِي وَأَحْزَنَنِي) ، فقَالَتْ لَهُ : يا أَبَتِ ، أَوَ لَمْ تَسْأَلْهُ كَيْفَ يَدْخُلُونَهَا ؟ ، قَالَ : (بَلَى ، تَسُوقُهُمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى النَّارِ ، وَلَا تَسْوَدُّ وُجُوهُهُمْ وَلَا تَزْرَقُّ أَعْيُنُهُمْ ، وَلَا يُخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ، وَلَا يُقْرَنُونَ مَعَ الشَّيَاطِينِ ، فقَالَتْ : يا أَبَتِ كَيْف تَسُوقهم الْمَلَائِكَةُ ؟ ، فَقَالَ : (أَمَّا الرِّجَالُ فَبِاللِّحى ، وَأَمَّا النِّسَاءُ فَبِالذَّرَائِبِ ، فَكَمْ ذي شَيْبَةٍ يُقَادُ إِلَى النَّارِ وَهُوَ يَقُول : وَاشَيْبَتَاه وَاضَعْفَاه ، وَكَمْ مِنَ امْرَأَةٍ تُقَادُ بشعرها إِلَى النَّارِ ، وَهِيَ تُنَادِي وتَقُول : وَافَضِيحَتَاه وَانتهاك سِتْرَاه ، وكَمْ مِنْ قَدَمٍ فِي نَارِ جهنم تُزل ، وكَمْ مِنْ عَزِيزٍ ذُلّ ، وَكَمْ مِنْ وَجْهٍ مَلِيحٍ فِي نَارِ جهنم تَغيّر ، قَالَ : فَتَسُوقهم الملائكة حَتَّى يُنْتَهُوا إِلَى مَالِكٍ خَازِنِ النَّار ، فإذا نظر إليهم ، قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ ، فَمَا وَرَدَ

عَلَيَّ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ ،أُعْجَبُ مِنْ هَؤُلَاءِ ، لَمْ تَسْوَدَّ وُجُوهُهُمْ ، وَلَمْ تُوضَعُ السَّلَاسِلُ وَالْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ! ، فتقُولُ هَذَا أَمْرُ رَبّنَا ، فَيَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْأَشْقِيَاءِ مَنْ أَنْتُمْ ؟ ، وفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى ، إذا قادتهم الملائكة حِيلُوا ، فَيَقُولُونَ : وَا مُحَمّدَاه ، فلمّا رَأوا مَالِكاً نسوا ذِكر مُحَمَّدٍ ﷺ من هيبةِ مَالِك ، فَيَقُولُ لهُم : يَا مَعْشَرَ الْأَشْقِيَاءِ مَنْ أَنْتُمْ ؟ ، فَيقُولُونَ : نَحْنُ مِمَّنْ أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ ، وَنَحْنُ صَائِمُون رَمَضَان ، فَيَقُولُ مَالِكٌ : تلك أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَإِذَا سَمِعُوا ذِكر مُحَمَّدٍ ﷺ ، صَاحُوا بأجمعهم : وَا مُحَمّدَاه وَا أَحمدَاه ، نَحْنُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَيقُولُ لهُمْ مَالِكٌ : أَمَا كَانَ فِي الْقُرْآنِ زَاجِراً يَزْجُرَكُمْ عَنْ مَعَاصِي اللَّـه تَعَالَى ؟ ، فَإِذَا وَقفَهم على شَفِيرِ جهَنَّمَ ، وَنَظَرُوا إِلَى النَّارِ والزَّبَانِيَةِ ، قَالُوا : يَا مَالِكُ ائْذَنْ لَنَا نَبْكِي عَلَى أَنفُسِنَا ، فَيأْذَنُ لهُمْ ، فَيبْكُونَ بالدُّمُوع ، حَتَّى تنقطع الدُمُوع ، فَيبْكُونَ دَّمَاً ، فَيقُولُ لهم مَالِكٌ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْبُكَاءَ لَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا من خَشْيَةِ اللَّـهِ تعالى ، ثم يَقُولُ لِلزَّبَانِيَةِ : أَلْقُوهُمْ فِي النَّارِ ، فَإِذَا أُلْقُوا ، صَاحُوا بِأَجْمَعِهِمْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ مُحَمَّد رَسُولُ اللَّـه ﷺ ، فَتَرجِعُ النَّارُ عَنْهُمْ ، فَيقُولُ مَالِكٌ : يَا نَارُ خُذِيهِمْ ، فَتقُولُ : كَيْفَ آخُذ من يَقُول : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ ؟ ، فَيقُولُ : أَمَرَ رَبُّ العِزَّة بِذَلِك ، فَتَأْخُذُهُمْ النَّار ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى قَدَمَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارِ إِلَى رُكْبَتِه ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارِ إِلَى حِقْوَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارِ إِلَى حَلْقِهِ ، فَإِذَا هَوتِ النَّارُ إِلَى الوُجُوهِ ، قَالَ مَالِكٌ : لَا

تُحْرِقي وَجُوهَهُمْ طَالَمَا سَجدُوا بها لِلـّه تَعالى ، ولَا تُحْرِقي قُلُوبَهم فهي محل الإيمـان ، قالَ : فَيمكثون مَا شَاءَ اللَّـهُ تعالى ، ثُمّ يُنادُون : يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ ، فَإِذَا نفَذَ فيهم حُكْم اللَّـهُ تَعالَى ، يَقُول الله عَزّ وَ جَلّ : يَا جِبْرِيلُ مَا فَعَلَ العُصاة مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصّلَاةِ والسّلَام ؟ ، فَيَقُولُ : إِلَهِي أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِمْ ، فَيَقُولُ له : انْطَلِقْ فَانْظُرْ حَالَهُمْ ، فَيَنْطَلِقُ جِبْرِيلُ إِلَى مَالِكٍ وَهُوَ عَلَى مِنبَرٍ مِنْ النَّارِ فِي وَسَطِ جَهَنَّمَ ، فَإِذَا نَظَرَ مَالِكٌ إِلَى جِبْرِيلَ ، قَامَ تَعْظِيماً لَهُ ، وَيَقُولُ : يا جِبْرِيل مَا أَدْخَلَكَ هَذَا الْمَوْضِعَ ؟ ، فَيَقُولُ : مَا فَعَل العُصاة من مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ ، فَيَقُولُ : مَا أَسْوَأَ حَالَهُمْ وَأَضْيَقَ مَكَانَهُمْ ، قَدْ أُحْرِقَتْ النَّار أَجْسَامُهُمْ ، وَأُكِلَتْ لُحومُهُمْ ، وَبَقِيَتْ وَجُوهُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ ، ولكن وَقُلُوبهم تَتَلأْلأُ بالْإِيمَانُ ، فَيَقُولُ جِبْرِيلُ : ارْفَعِ الطباقَ عَنْهُمْ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِمْ ، فَيَأْمُرُ مَالِكٌ الْخُزَنَةَ فترفع الطباق عَنْهُمْ ، فَإِذَا نَظَرُوا إِلَى جِبْرِيلَ وَحُسْنِ خُلُقِهِ ، عَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ مَلَائِكَةِ النَّارِ ، فَيَقُولُونَ : مَنْ هَذَا الْعَبْدُ الَّذِي لَمْ نَرَ أَحْسَنَ مِنْهُ ؟ ، فَيَقُولُ مَالِكٌ : هَذَا جِبْرِيلُ الْكَرِيمُ عَلَى رَبِّهِ ، الَّذِي كَانَ يَأْتِي نبيكم بِالْوَحْيِ ، فَإِذَا سَمِعُوا ذِكْرَ مُحَمَّدٍ ، قالوا بِأَجْمَعِهِمْ : يَا جِبْرِيلُ أَقْرِئْ مُحَمَّداً عنَّا السَّلَامَ ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّ مَعَاصِينا فَرَّقَتْ بَيْننَا وَبَيْنَه ، وَأَخْبِرْهُ بِسُوءِ حَالِنَا وَضِيقِ مَكَانِنِا ، فَيَنْطَلِقُ جِبْرِيلُ حَتَّى يَقِف بَيْنَ يَدَي اللّـهِ تَعالَى ، فَيَقُولُ اللَّـهُ : يَا جِبْرِيلُ، كَيْفَ رَأَيْت أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا

أَسْوَأَ حَالَهُمْ وَأَضْيَقَ مَكَانَهُمْ ، فَيَقُولُ اللَّـهُ تَعَالَى : سَأَلُوكَ شَيْئاً ؟ ، فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ ، سَأَلُونِي كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ اللَّـهُ تَعَالَى : انْطَلِقْ إِلَيهِ و بَلِّغْهُ ، فَيَنْطَلِقُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاة و السَّلَام إِلَى الجـنة ، فَيَدْخُل عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ فِي خَيْمَةٍ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ ، لَهَا أَرْبَعَةُ آلَافِ مِصْرَاع ، كُلِّ مِصْرَاع عَلَيْهِ بَابٌ مِنْ الذَّهَبِ ، فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ العُصَاةِ ، الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ مِنْ أُمَّتِكَ ، وَهُمْ يُسَلِّمُونَ عَلَيْكَ ، وَيَقُولُونَ لَكَ : مَا أَسْوَأَ حَالَنَا وَأَضْيَقَ مَكَانَنَا ، فَيَأْتِي رَسُول اللَّـهِ ﷺ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَيَخِرُّ سَاجِداً للَّـهِ تَعَالَى ، وَيُثْنِي عَلَى رَبه بِثَنَاءٍ ، لَمْ يُثْنِهِ أَحداً قَبْلَهُ ، فَيَقُولُ اللَّـهُ تَعَالَى : يَا مُحَمَّد ، ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ العُصَاة مِنْ أُمَّتِي ، أَنْفَذْتَ فِيهِمْ حُكْمَكَ ، وَانْتَقَمْتَ مِنْهُمْ ، فَشَفِّعْنِي فِيهِمْ ، فَيَقُولُ اللَّـهُ تَعَالَى : قَدْ شَفَّعْتُكَ فِيهِمْ ، فَائْتِ النَّارَ وَأَخرِجْ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ ، فَيَأتِي رَسُول اللَّـهِ ﷺ إلى النَّارِ ، فَإِذَا نَظَرَ مَالِكٌ إلى النَّبِيَّ ﷺ قَامَ تَعْظِيمًا لَهُ ، فَيَقُولُ لِمَالِك : (ارْفَعِ الطبَاق عَنْهُم ، و افْتَحِ الْبَابَ ، فَإِذَا نَظَرَ أَهْلُ النَّارِ إلى النَّبِيَّ ﷺ ، صَاحُوا بِأَجْمَعِهِمْ : وَامُحَمَّدَاه ، قَدْ أَحْرَقَتِ النَّارُ وُجُوهَنَا و جُلُودَنَا ، وَ وَصَلتْ إِلى أَكْبَادِنَا ، فَيُخْرِجُهُمْ جَمِيعاً ، وَقَدْ صَارُوا فَحماً ،فَيَنْطَلِقُ بهم إِلَى نَهرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ يُسَمَّى الْحَيَوَانِ ، فَيَغْتَسِلُونَ فيه ، فَيَخْرُجُونَ شَبَاباً مُرُداً كَأَنَّ وَجُوهَهُمْ الْقَمَر

، مَكْتُوبٌ عَلَى جِباهِهِمْ ، هؤلاء عُتَقَاءُ اللّـهِ مِنَ النَّارِ ثم يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا رَأَى أَهْلُ النَّارِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أُخْرِجُوا مِنْهَا ، قَالُوا يَا لَيْتَنَا كُنَّا مُسْلِمِينَ .

البَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ

في صفة أهل الجنة وما أعد الله فيها لأهلها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قُلْتُ لرَسُولِ اللّـهِ : يَا رَسُول اللّـهِ مِمَّ خَلَقَ اللّـه الخَلْق؟ ، قَالَ : (مِنَ الْـمَـاءِ) ، قُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ الْجَنَّةِ ، قَالَ : (بناؤها لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَمِلَاطُهَا (أَيْ طِينُهَا) الْمِسْكُ الأَذْفَر ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ ، مَنْ دْخلهَا يَنْعَمُ فَلَا يَبتئِس ، وَيَخْلُدُ فَلَا يَمُوتُ ، وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ) ، ثُمّ قَالَ رَسُولُ اللّـهِ صلى الله عليه وسلم : (ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : إِمَامٌ عَادِل ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُوم ، فَإِنَّهَا تُرْفَعُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، فَيَنْظُرُ إِليهَا الرَّبُّ تَبارَكَ وَتَعَالَى ، فَيَقُولُ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ) .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : فِي الْجَنَّةِ حَوْرَاءَ يُقَالُ لَهَا (اللُّعْبَة) خُلِقَتْ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ : مِنَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالزَّعْفَرَانِ وَالْكَافُورِ ، وَعُجِنَ طِينُهَا بِمَاءِ الْحَيَوَانِ ، وَجَمِيعُ الْحُورِ عُشَّاقٌ لَهَا ، وَلَوْ بَزقتْ فِي الْبَحْرِ لعذُبَ مَاءَ الْبَحْرِ ، قِيلَ فِيهَا شعْراً :

لو بصقت في البحر والبحر مالحٌ لأصبح ماء البحر من ريقها عذبا
ولو أنها للمشـركين تعرضت إذاً لاتخذوها دون أصنامهم ربا

مَكْتُوبٌ عَلَى نَحْرِهَا : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلِي فَلْيَعْمَلْ بِطَاعَةِ رَبِّي .

وَرُوِيَ فِي الأَخْبَارِ : أَنَّ اللَّـهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى يَقُولُ : يا مَلَائِكَتِي ، أَطْعِمُوا أَوْلِيَائِي ، فَيأْتُون بِأَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ ، فَيَجِدُونَ لِكُلِّ لُقْمَةٍ لَذَّةً غَيْرَ مَا يَجِدُونَ فِي الْأُخْرَى ، فَإِذَا فَرَغُوا مِنَ الطَّعَامِ ، قَالَ اللَّـهُ تَعَالَى : اسْقُوا عِبَادِي ، فَيُؤْتَى بِأَشْرِبَةٍ فَيَجِدُونَ لِكُلِّ شَربةٍ و نَفَسٍ لَذَّةً بِخِلَافِ الْأُخْرَى ، فَإِذَا فَرَقُوا يَقُولُ : (أَنَا رَبُّكُمْ قَدْ صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي ، فَاسْأَلُونِي أُعْطِكُمْ) ، فيقولون : نَسْأَلُكَ الرِضْوَان مَرتين أَوْ ثَلَاثَةً ، فَيَقُولُ : (لقَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ ، وَلدي الْـمَزِيد ، الْيَوْمَ أُكْرِمُكُمْ بِكَرَامَةٍ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، فَيُكْشَفُ الْحُجب فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّداً ، فَيمكثون فِي السُّجُودِ مَا شَاءَ اللَّـهُ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُمُ : ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ لَيْسَ هَذَا يَوْم سُجُودٍ وَلَا عِبَادَةٍ ، فَيَرْفَعُون رُؤُوسَهُم وَيَنْظُرُونَ إِليهِ ، فَيَنْسَوْنَ كُلَّ نِعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا ، وَيَكُونُ النَّظَرُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ النِّعَمِ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ ، فَتَهِيجُ رِيحٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ ، يُقَالُ لَهَا الْـمُثِيرة ، عَلَى تَلٍّ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ ، فَيُنْثر ذَلِكَ المِسْك عَلَى رُءُوسِهِمْ وَنَوَاصِي خُيُولِهِمْ ، فَإِذَا رَجَعُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ ، يَرُونَ أَزْوَاجَهمْ من الْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ ، أَفْضَلَ مِمَّا تَرَكُوهُنَّ عَلَيْهِ ، وَتَقُولُ أَزْوَاجُهُمْ : إِنَّكُمْ رَجَعْتُمْ إلينَا عَلَى أَحْسَنِ مَا كُنْتُمْ ، وَيَرُونَ

اللـه عَزّ وَجَلَّ عَلى الحقيقةِ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تكييفٍ وَلَا تَحْدِيدٍ ، كَمَا يَعْرِفُونَهُ فِي الدُّنْيَا بِلَا تَشْبِيهٍ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ : وَالَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَزْدَادُونَ حُسْناً وجَمَالاً كَمَا يَزْدَادُونَ فِي الدُّنْيَا هَرَماً و ضَعْفاً .

وَرُوِيَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ : أَنَّهُ لَوْ أخرجت امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَفَّهَا ، لَأَضَاءَ كَفُّهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .

قَالَ الْأُسْتَاذ أَبُو اللَّيْث السَمَرْقَنْدِي : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَالَ هَذِهِ الْكَرَامَاتِ فليلزم خَمْسَةِ أَشْيَاءَ : أَوَّلُهَا : أَن يَمْتنع عن الْمَعَاصِي ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ ، وَالثَّانِي : يَرْضَى مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ ، فَقَدْ وَرد فِي الْخَبَرِ : (أَنَّ ثَمنَ الجَنَّةِ تَرْكُ الدُّنْيَا) ، وَ أَنْ يَكُونَ حَرِيصاً عَلَى طَاعَةِ اللّـهِ تَعَالَى ، لِقَوْلِهِ عَزّ وَجَلّ : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، وَالثالث : يُحِب الصَّالِحِينَ وَأَهْلَ الْخَيْرِ والعُلَمَاءِ ، فَإِنَّهم يُشْفَّعُونَ فِي أَصْحَابِهِم وَإِخْوَانِهِم ، وَالْرابع : يُكْثِر الدُّعَاء والاسْتِغْفَار ، والخامِس : يُكثر من قول : لَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إِلّا بِاللّـهِ العَلِّي العَظِيم ، فإِنّها كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجنة .

البَابُ الرَّابِعَ عَشَرَ

في الزجر عن العجب

عنْ عَبْدُ اللَّـهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، قَالَ : النَّجاةُ فِي اثْنَيْنِ : النِّيَّةِ و التَّقْوَى ، وَالْهَلَاكُ فِي اثْنَيْنِ : الْقُنُوطُ ، وَالْإِعْجَابُ .

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، رَجُلٌ إِذَا مَشَى أَظَلَّتْهُ غَمامة ، فَقَالَ رَجُلٌ لَأَمْشِيَنَّ فِي ظِلِّهِ ، فَأُعْجِبَ العَابِد بِنَفْسِهِ، وَقَالَ : مِثْلُ هَذَا يَمْشِي فِي ظِلِّي ، فَلَمَّا افْتَرَقَا ذَهَبَت السحابة مَعَ ذَلِكَ الرَّجُلِ.

وَ رُوِيَ عن دَاوُودَ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام ، أَنَّهُ عَبَدَ رَبَّهُ سَنَةً عَلَى سَاحِلِ البحر ، وقَالَ : يَا رَبُّ قَدِ انْحَنَى ظَهْرِي ، وَكَلَّتْ عَيْنَايَ ، وَفقدَت الدُّمُوعُ ، وَلَا أَدْرِي إِلَى مَاذ يَؤُولُ أَمْرِي، فَأَوْحَى اللَّـه تَعَالَى إِلَى ضِفْدَعةٍ ، أَنْ أُجِيبِي عَبْدِيَ دَاوُدَ ، فَقَالَتِ الضِّفْدَعة : يَا نَبِيَّ اللَّـهِ ، أَتَمُنّ عَلَى اللَّـهِ بِعِبَادَةِ سَنَةٍ ؟ ، ، وَالَّذِي خَلَقَنِي ، إِنَّ لِي هُنا ثَلَاثِينَ سَنَةً أُسَبِّحُهُ وَأَحْمَدُهُ ، وَإِنَّ فَرَائِصِي لَتَرْتعِدُ مِنْ الخوْفِ مِن اللّـهِ عزّ وجلّ ، فَبَكَى دَاوُدُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بُكَاءاً شَدِيداً حَيَاءاً من اللّـهِ تَعَالَى .

قال الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْسِرَ الْعُجْبَ ، فَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ : أَوَّلُهَا : أَنْ يَرَى التَّوْفِيقَ مِنَ اللَّـهِ تَعَالَى فَلَا يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ ، ثَانِيها : أَنْ يَنْظُرَ إِلَى النَّعْماءِ ، فَإِذَا نَظَرَ فِي نَعْماءِ اللَّـه ، اشْتَغَلَ بِالشُّكْرِ ، ثالِثها : أَنْ يَخَافَ أَلاَ يتقبل

مِنْهُ ، فَإِذَا اشْتَغَلَ بِالخَوْفِ من عدم قَبُولِ عَمَلِه لَا يُعْجَبُ ، وَ رَابِعهَا : أَنْ يَنْظُرَ فِي ذُنُوبِهِ ، وأَنْ يَخَافَ أَنْ تُرجِّح سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ عُجْبُهُ ، فإذا فعل ذلك فقد كسر عُجْبه .

وَقَالَ كَعْبُ الأحبار : يَجْمعُ اللَّـه الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي قَاعٍ أَفْيَح ، يَسْمَعُهُمْ الدَّاعِي ، وَيُنْفِذُهُمْ الْبَصَـرَ ، ثُمَّ يُدْعَى كُلُّ قَوْمٍ بِإِمَامِهِمْ (يَعْنِي بِمُعَلِّمِهِمْ ، الَّذِي يُعَلِّمُهُمُ الْهُدَى ، أَوِ الضَّلَالَةَ) ، فَيُدْعَى بِإِمَامِ الْهُدَى قَبْلَ أَصْحَابِهِ ، وَيُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، وفيه (قَدْ غَفَرْتُ لَكَ) ، ويُتَوَّجُ بِتَاجٍ مِنْ نُورٍ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : اذْهَبْ إِلَى أَصْحَابِكَ ، فَأخبرهُمْ أَنَّ لِكُلٍّ مِنْهُمْ مِثْلَ مَا لَكَ ، فيأْتِي أَصْحَابَهُ فَيَقُولُ : ﴿ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ قَدْ غُفِرَ لِي ، وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مِثْلَ مَا لِي ، قَالَ : وإِذَا كَانَ إِمَام الضَّلَالَة دُعِيَ ، فَيُعْطى كِتَابه بِشمَالِهِ ، فيقْرَأُه ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ ، وَجَدَ فِي آخِره ، وَإِنَّهُ حَقَّ عَلَيْكَ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ، وَ يَسْوَدُّ وَجْهُهُ ، وَيُتَوَّجُ بِتَاجٍ مِنَ نَارٍ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : ائْتِ قَوْمك فَأخبرْهُمْ ، إِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِثْلَ ما لك ، فلا يَمُرُّ بِقَوْمٍ إلا لَعَنُوهُ حتَّى يَأْتِي أَصْحَابه فَيلْعَنهُم وَيلْعَنُونه ، كَمَا قَالَ اللَّـهُ تَعالَى : ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ ﴾ ، فَيَقُولُ : أَبْشِـرُوا فَإِنَّ مَأْوَاكُم النَّار مِثْلِي.

وقَالَ مَسْرُوق : كَفَى بِالْمَرْءِ عِلْماً أَنْ يَخْشَى اللَّـهَ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَنْ يُعْجَبَ بِعَمَلِهِ .

البَابُ الخَامِسَ عَشَرَ

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه : إِنَّ اللَّـهَ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ الْخَاصَّةَ بِعَمَلِ الْعَامَّةِ ، وَلَكِنْ إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَاصِي ، فَلَمْ يُنْكِرُوها ، فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْقَوْمُ الْعُقُوبَةَ .

وَذَكَرَ أَنَّ اللَّـهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى يُوشَعَ بْنِ ذا النُون عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنِّي مُهْلِكٌ مِنْ قَوْمِكَ أَرْبَعِينَ أَلْفاً مِنْ خِيَارِهِمْ ، وَسِتِّينَ أَلْفاً مِنْ شِرَارِهِمْ ، قَالَ : يَا رَبُّ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارُ ، فَمَا بَالُ الْأَخْيَارِ ، قَالَ : لِإِنَّهُمْ لَمْ يَغْضَبُوا لِغَضَبِي ، وَ وَاكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّـه رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم : (إِذَا كثر الزِّنَا كثر مَوْتُ الْفَجْأَةِ ، وَإِذَا طَفَّفُوا الْمِكْيَالَ أَخَذَهُمُ اللَّـهُ بِالسِّنِينَ ، وَإِذَا مَنَعُوا الزَّكَاةَ حبَسَ اللَّـهُ عَنْهُمُ الْمَطَرَ ، وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لَمَا نَزَلَتْ مِنْ السَّمَاءِ قَطْرَة ، وَإِذَا جَارُوا فِي الْحُكْمِ تَعادَوْا فيما بَيْنَهُمْ ، وَإِذَا نَقَضُوا الْعَهْدَ سَلَّطَ اللَّـهُ عَلَيْهِمْ شِرَارَهُمْ ، ثُمَّ يَدْعُوا خِيَارُهُمْ فَلا يُسْتَجَابُ لَهُمْ) .

و عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللّـهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : (إِنَّ مِنَ النَّاسِ أُنَاساً ، مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ ، وَ مِنَ النَّاسِ أُنَاساً مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ ، فَطُوبَى لِعبدٍ جعَلَ اللَّـهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدِهِ ، والَّذِين يَأْمُرُون بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهُون عَنِ الْمُنْكَرِ ، مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ ومَغَالِيقَ لِلشَّرِّ ، كَمَا قَالَ اللَّـه تَعَالَى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وَ قَالَ قَتَادَة : ذُكَرَ لَنَا أَنَّ رَجُلاً جاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ ، فَقَالَ : أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّـهِ ؟ ، قَالَ : (نَعَمْ) ، قَالَ : فَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ وأَحَبُّ إِلَى اللَّـه تَعَالَى؟ ، قَالَ : (الْإِيمَانُ بِاللَّـهِ) ، قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : (صِلَةُ الرَّحِم) ، قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : (الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ) ، قَالَ : فَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَبْغَضُ إِلَى اللَّـهِ وَتَعَالَى ؟ ، قَالَ: (الشِّرْكُ بِاللَّـهِ) ، قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ ، قَالَ : (قَطِيعَةُ الرَّحِمِ) ، قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ ، قَالَ : (تَرْكُ الْأَمْرِ بِالْمُعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ) .

قَالَ الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : لما اشْتَرَطَ رَسُول اللَّـهِ ﷺ الْقُدْرَةَ ، دَلّ ذَلِكَ عَلى أَنْ ذَلِكَ لَا يَكُون إِلاّ بِغَلَبَةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ على أهل الدّعَارةِ والفُسُوقِ ، فَإِنّ كَانَ كَذَلِك ، قَالَ : يَتعين على أهل الصَّلَاحِ أَنْ يَهْجُرَوا أَهْلَ المَعَاصِي

وَيَمْنَعُونهم من الْمُنْكَرِ ويأمروهم بالمَعْرُوفِ لِيَأْمَنُوا مِنْ وَعِيدِ اللّـهِ تَعَالى ، فقد مَدَحَ اللَّـه هَذِهِ الْأُمَّةَ بِذَلِكَ ، فقَالَ : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ ، والمعروف ما كان موافقاً لكتاب اللّـه والسُّنة والعقل والإجماع ، قال اللَّـه تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ ، وَقَدْ ذَمَّ اللَّـهُ تَعَالَى أَقْوَاماً بِتَرْكِ الْأَمرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَقَالَ :﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ ﴾ ، يَعْنِي لَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ ، وَقَالَ اللَّـهُ تَعَالَى : ﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ ، يعني لا يَنْهَاهُمْ عُلَمَاؤُهُم وفقهاؤهم وقُرّاؤُهم ، عَنْ قَوْلِهِمْ الإِثْمَ أي قَوْلَ الْفُحْشِ ، وَأَكْلَ الْحَرامِ ، وَ إِنِ اسْتَطَاعَ أن يأمرهم بالمعروف وينهى عن المنكر فِي السِّرِّ ، كانَ أَفْضَلَ أَبْلَغَ فِي الْمَوْعِظَةِ وَ واقع النَّصِيحَةِ ، وينبغي للذي يأمر بالمعروف أن يقصد به وجه اللّـه ، وإعزاز الدين ولا يكون لحميَّة نفسه .

فقد بَلَغَنَا أن عِكْرِمَةَ ، قَالَ : مَرَّ رَجُلٌ بِشَجَرَةٍ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّـهِ تَعَالَى ، فَأَخَذَ فَأْساً وَرَكِبَ حِمَاراً ، ثُمَّ تَوَجَّهَ نَحْوَ الشَّجَرَةِ لِيَقْطَعَهَا ، فَلَقِيَهُ إِبْلِيس لَعَنَهُ اللّـه فِي الطَّرِيقِ ، عَلَى صُورَةِ إِنْسَانٍ ، فَقَالَ لَهُ : إِلَى أَيْنَ تُرِيد ؟ ، فَقَالَ : رَأَيْتُ

شَجَرَةً تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّـهِ تَعَالى ، فَأَعْطَيْتُ عَهْداً أَنْ آخُذَ فَأْسِي ، وأَرْكَبَ حِمَارِي ، وَأَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا فَأَقْطَعَهَا ، فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللّـه : يا هذا مالك ولها ، دعها ومن يعبُدها أبعدهُم اللّـه ، فلم يرجع لقوله ، فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ : ارْجِعْ وَأَنَا أُعْطِيكَ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ ، تَرْفَعُ طَرْفَ فِرَاشِكَ ، فتجدها تحته ، فَقَالَ: أَوَتَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، وقد ضَمِنْتُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعَ الرجل إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَوَجَدَ تحت فِرَاشِهِ أربعة دراهم يومين أو ثلاثة أو ما شاء اللّـه تعالى ، فلما كان بعد أيام رفع فراشه ، فلم يجد شيئاً ، فَأَخَذَ الْفَأْسَ وَرَكِبَ الْحِمَارَ ، وتوجّه نحو الشَّجرة ، فَلَقِيَهُ إِبْلِيسُ لعنه اللّـه ، فَقَالَ لَهُ : إنّك لَا تُطِيقُ ذَلِكَ يا هذا ، قال : لأي شيءٍ ؟ ، قال : أَمَّا خُرُوجُكَ أَوَّلاً فَكَانَ غَضَبًا لِلَّـهِ تَعَالَى ، فَلَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ الْأَرْضِ مَا رَدُّوكَ ، وَأَمَّا خُرُوجُكَ الْآنَ فَإِنَّمَا خرجت حَيْثُ لَمْ تَجِدِ الدَّرَاهِمَ ، فَإِنْ تَقَدَّمْتَ إليها لَيُكْسَرَنّ عُنُقُكَ ، فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ خَاسِراً وَتَرَكَ الشَّجَرَةَ .

وفي الحديث عن النَّبِيَّ ﷺ : (إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدَعُ ، وسَكَت الْعَالِمِ ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّـهِ) .

البَابُ السَّادِسَ عَشَرَ

في آفة الكسب والحذر من الحرام

عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : ذَكَر لنَا رَسُول اللَّـهِ ﷺ : (إِنْ شِئْتُمْ لَأَحْلِفَنَّ أَنَّ التَّاجِرَ فَاجِرٌ إلا في برٍ وصِدْقٍ) .

وعن قَتَادَةُ أَيْضاً قَالَ : كَانَ يَقُول : عَجِبْتُ من التَّاجِرِ كيف يُخْلِص ، يَحْلِفُ بِالنَّهَارِ وَيَحْسِبُ بِاللَّيْلِ .

و قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي التَّاجِرِ ثَلَاثُ خِصَالٍ ، افْتَقَرَ فِي الدَّرايْنِ جَمِيعاً : لِسَانٌ نَقِيٌّ مِنَ الْكَذِبِ ، وَاللَّغْوِ ، وَالْحَلِفِ ، وَ قَلْبٌ صَافٍ مِنَ الْغِشِّ ، وَالْحَسَدِ ، وَالْخِيَانَةِ ، و نَفْسٌ مُحَافِظَةٌ على الْجُمْعَةِ ، وَالْجَمَاعة ، وَطَلَبِ الْعِلْمِ ، وَإِيثَارِ مَرْضَاةِ اللَّـهِ تَعَالَى .

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّـهُ : لَا تَنْظُرُوا إِلَى زِيِّ أَهْلِ السُّوقِ ، فَإِنَّ تَحْتَ ثِيَابِهِمْ ذِئَاب .

وَقِيلَ : دَخَلَ مُحَمَّدِ بْنِ سِمَاك السُّوقَ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ السُّوقِ ، سُوقُكُمْ كَاسِدٌ ، وَجَارُكُمْ حَاسِدٌ ، وَبَيْعُكُمْ فَاسِدٌ ، وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : الطَّاعَةُ مَخْزُونَةٌ فِي خَزَائِنِ اللَّـهِ تَعَالَى ، وَمِفْتَاحُهَا الدُّعَاءُ ، وَأَسْنَانُهَا لُقْمَةُ الْحَلَالِ .

وَ قال ابْنِ شُبْرُمَةَ : الْعَجَبُ كل الْعَجَب ، فيمنْ يَحْتَمِي مِنْ الطعام الحَلَال مَخَافَةَ الدَّاءِ ، كَيْفَ لَا يَحْتَمِي من الطعام الْحَرَام مَخَافَةَ النَّارِ .

وعَنْ جَابِرٍ بن عبد اللّـه ، قال : قال رَسُول اللَّـهِ ﷺ : (أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ وَاتَّقُوا اللَّـهَ ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَخُذُوا مَا حَلَّ ، وَذَرُوا مَا حَرَّمَ) .

و كَانَ يُقَال : النَّاسُ فِي الْكَسْبِ عَلَى أربعةِ مَرَاتِبَ : مِنْهُمْ مَنْ يَرَى الرِّزْقَ من الْكَسْبِ فهذا مُشْرِكٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاه مِنَ اللّـهِ تَعَالَى ، وَلَا يَدْرِي أَيُعْطِيهِ أَمْ لَا ، فَهُوَ مُنَافِقٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهُ مِنَ اللّـهِ ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ وَيَعْصِي اللَّـهَ ، فَهُوَ فَاسِقٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهُ مِنَ اللّـهِ ، وَيَرَى الْكَسْبَ سَبَباً ، وَيُخْرِج منه حَقّ اللَّـهِ تَعَالَى ، وَلَا يَعْصِي اللَّـهَ بِهِ ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُخْلِصٌ .

و عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه ، قَالَ : كَانَ أبو بَكْرِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه ، له غُلَامٌ يَأْتِيه بالطَعَام ، فَأَكَلَ منه يوماً لُقْمَةً ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلَهُ ، وكان من عادته السُّؤَال ، لأنه كان وَرِعاً ، فقَالَ له الْغُلَامُ : كُنْتَ تَسْأَلُنِي كُلَّ لَيْلَةٍ فما بالك هَذِهِ اللَّيْلَةِ لَمْ تَسْأَلْنِي ، فقَالَ له : وَيْحَكَ ، الْجُوعُ حَمَلَنِي على ذلك ، فَأَخْبِرْنِي مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهِ ، فقَالَ له : كُنْتُ رَقَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أُنَاساً ، فَوَعَدُونِي عِدَةً ، فَرَأَيْتُ عِنْدَهُمْ وَلِيمَةً ، فَذَكَّرْتُهُمْ ، فَأَعْطَوْنِي هَذَا الطَّعَامَ ، قال : فَكَابَدَ أبو بكرٍ نَفْسَهُ جَهْدَاً فِي إِخراجِ اللُّقْمَةَ مِنْ بطْنِهِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ حَتَّى اخْضَرَّ وَاسْوَدَّ ،

فَقيل له : لَوْ شَرِبْتَ مَاءاً ، فدعَا بِمَاءٍ فَشَرِبَ حتى تقَيَّأَ ، وَلم يزَل يُعَالِجُ نَفْسَهُ حَتَّى نبَذَهَا ، فَقَالُوا له : كُل هَذَا مِنْ أَجْلِ لُّقْمَة ؟ ، فقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ : (إِنَّ اللَّـهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى كُلِّ جَسَدٍ غُذِّيَ بِالحرَام) .

قَالَ الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يُطَيِّب كَسْبُهُ ، فَلَا يُؤَخِّر شَيْئاً مِنْ الفَرَائِضِ وَلَا ينقصها ، ولَا يُؤْذِي أَحداً ، وليُكُن قْصِدَه الاسْتِعْفَاف والستر ، وَلَا يَقْصِدَ الْجَمْعَ وَالْكَثْرَةَ ، و لَا يَرَى رِزْقَهُ مِنَ كَسْبِه ، بل يتيقن أن ذلك مِنَ اللَّـهِ سبحانه وتعالى ، وَالْكَسْب بيده ، بل ولا يرى لنفسه حوْلاً ولا قوة .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـهِ ﷺ : (لَا يَكْسِبُ عَبْداً مَالاً من حَرَام ، فَيَتَصَدَّقُ بِهِ ، فَيُؤْجَرُ عَلَيْهِ ، وَلَا يُنْفِقُ مِنْهُ ، فَيُبَارَكُ لَهُ فِيهِ ، وَلَا يَتْرُكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، إِلّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ اللَّـهَ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ) .

وَ قَالَ قَتَادَةَ رضي الله عنه : التَّاجِرُ الصَّدُوقُ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيامَةِ .

البَابُ السَّابِعَ عَشَرَ
فيما ورد في الشفقة والرحمة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـهِ ﷺ : (بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي فِي الطُّرقِ ، وقدْ اشْتَدَّ به الْعَطَشُ ، فَوَجَدَ بِئْراً ، فَنزَلَ فيها وَشَرِبَ منها ، ثُمَّ خَرَجَ منها ، فَإِذَا هو بكَلْبٍ يَلْهَثُ ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ شدة الْعَطَشِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِثْلَ ما حلّ بِي ، فَنزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ ، ثُمَّ أَمْسَكَ بِفِيهِ ، ثم خرج من البئر ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّـهُ له ذلك ، فَغَفَرَ لَهُ) ، فقَالُوا : يَا رَسُولَ اللّـهِ ، إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْراً ؟ ، قَالَ: (نعم ، فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ) .

عَنْ النُّعْمَان بْنُ بَشِيرٍ ﵁ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّـهِ ﷺ ، يَقُولُ : (يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا بِنَصِيحَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً ، ويرحم بَعْضِهِمْ بَعْضاً ، وَتَرَاحُمِهِمْ فيما بَيْنَهُمْ كَمَثَلِ الْعُضْوِ مِنَ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى تَدَاعَى الْجَسَدُ كُلُّهُ بِالسَّهَرِ حَتَّى يَذْهَبَ أَلَمَ ذَلِكَ الْعُضْوِ) .

وَ رَوَى الْحَسَنِ ، عَنْ النَبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : (بُدَلَاءُ أُمَّتِي لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِكَثْرَةِ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ ، وَلَكِنْ بِسَلَامَةِ الصُّدُورِ ، وَسَخَاوَةِ النُّفُوسِ ، وَالرَّحْمَةِ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ) .

و عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : (أَرْبَعٌ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْكَ : أَنْ تُعِينَ مُحْسِنَهُمْ ، وَأَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمُذْنِبِهِمْ ، وَأَنْ تَدْعُوَ لِمُدْبِرِهِمْ ، وَأَنْ تُحِبَّ تَائِبَهُمْ) .

و عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ ، يَقُولُ : (لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتُّ خِصَالٍ ، إِنْ تَرَكَ شيئاً مِنْهَا ، فَلَقَدْ تَرَكَ حَقّاً وَاجِباً عليه : إِذَا دَعَاهُ أَجَابَهُ ، وَإِذَا مَرِضَ عَادَهُ ، وَإِذَا مَاتَ حَضَرَ جنازته ، وَإِذَا لَقِيَهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَهُ نصحَهُ ، وَإِذَا عَطَسَ شَمَّتَهُ) .

وَ رُوِيَ عَنْ النبيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : (مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَ رَعَى الغنم ، إِنَّ اللَّـهَ تَعَالَى ابْتَلَاهُمْ بالْبَهَائِمِ ، حَتَّى يرى شَفَقَتُهُمْ عَلَى خَلْقِهِ ، ثُمَّ وَلاَّهُم أمر بني آدم) .

وَ رُوِيَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، قَالَ : يَا رَبُّ بِأَيِّ شَيْءٍ اتَّخَذْتَنِي كليماً صَفِيًّا ؟ ، قَالَ : برَحْمَتِكَ عَلَى خَلْقِي .

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـهِ ﷺ : (مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللَّـهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ نَفَّسَ عَلَى أخيه الْمُسْلِمِ كَرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا ، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاللَّـهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) .

و عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـهِ ﷺ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) .

و عَنْ عُمَرَ بن الخطّاب ﷺ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـهِ ﷺ : (إِنَّ اللَّـه تَعَالَى لَا يَرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحَمُ ، وَلَا يَغفِرُ لِمَنْ لَا يَغْفِرُ ، وَلَا يَتُوبُ عَلَى مَنْ لَا يقبل التَّوبة) .

عَنْ النبيِّ ﷺ ، أنّه قَالَ : (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُم الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاء ، ومَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللّـه) .

وَقَالَ شَفِيقٌ الزَّاهِدُ : إِذَا ذَكَرْتَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ ، فَلَمْ تَجِدْ فِي قَلْبِك حَلَاوَةَ طَاعَةِ رَبِّكَ ، فَأعلم أَنّك رَجُل سُوءٍ ، إِذَا ذَكَرْتَ عبد بِسُّوءٍ ، فَلَمْ تَهْتَمَّ لَهُ تَرَحُّماً ، فَأَنْتَ أَسْوَأُ حَالاً مِنْهُ .

وَ قَالَ طَاوُسَ لرجُلٍ: إِنْ شِئْتَ جَمَعْتُ كُل التَّوْرَاة ، وَالْفُرْقَانَ ، وَالْإِنْجِيلَ ، فِي ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ ، فقَالَ له : لقد وَدِدْتُ ذَلِكَ ، فَقَالَ له : خَف اللَّـهَ خَوْفاً لَا يَكُونُ أَحَداً أَخْوَفَ عِنْدَكَ مِنْهُ ، وَ أَرْجِهِ رَجَاءاً ، هُوَ أَشَدُّ مِنْ خَوْفِكَ إِيَّاهُ ، وَأَحِبَّ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ .

وَ قَالَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ﷺ : ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ جَمَعَ الْإِيمَانَ كُلَّهُ : الْإِنْفَاقُ فِي الْإِقْتَارِ ، وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ عَلَى الْخَلْقِ.

وَ قَالَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ﷺ : أَحَبُّ الأُمُورِ إِلَى اللَّـهِ تَعَالَى ثَلَاثٌ : الْعَفْوُ عِنْدَ الْمُقْدِرَة ، وَالْقَصْدُ فِي الْجِدَةِ ، وَالرِّفْقُ بِعِبَادِ اللَّـهِ تَعَالَى ، وَمَا رَفَقَ أَحَدٌ بِعِبَادِ اللَّـهِ إِلَّا رَفَقَ اللَّـهُ بِهِ .

و عَنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : أَوْحَى اللَّـهُ تعَالَى إِلَى آدَمَ عليه الصَّلاة والسَّلام ، يَا آدَمُ أَرْبَعٌ هُمّ جِمَاعُ الْخَيْرِ كُلّه ، لَكَ ولأولادك من بعدك ، وَاحِدَةٌ لَكَ ، وَ وَاحِدَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَ وَاحِدَةٌ بَيْني وَبَيْنَ النَّاسِ ، و وَاحِدَةٌ لي ، فَأَمَّا الَّتِي لِي أَنْ تَعْبُدَنِي وَلَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً ، وَأَمَّا الَّتِي لَكَ عَمَلُكَ أَجَازِيكَ بِهِ ، أَفْقَرَ مَا تَكُونَ إِلَيْهِ ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَمِنْكَ الدُّعَاءُ وَ مني الْإِجَابَةُ ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَأَصْحَبْهُمْ بِالَّذي تُحِبُّ أَنْ يَصْحَبُوكَ بِهِ ، تفلح إِن شاء اللّـه تَعَالى .

البَابُ الثَّامِن عَشَرَ
فيما تدفع الصدقة عن صاحبها من البلاء

قَالَ الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : رُوِيَ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، مَرَّ بِقَرْيَةٍ فِيهَا قَصَّار ، فَقَالَ له أَهْلُ الْقَرْيَةِ : يَا روحُ اللَّـه هَذَا الْقَصَّارَ يُمَزِّقُ ثِيَابَنَا وَيَحْبِسُهَا ، وَلَا نَجِدْ مِنْهُ الخلَاصَ ، وَقَدْ آذَانًا فَأَنْهِهُ وَاصْرِفْهُ عَنَّا ، فَكَلَمَّهِ عِيسَى وَخَوَّفَهُ مِنْ اللَّـه عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالُوا : يَا رُوحُ اللَّـه أَدْعُو اللَّـه تَعَالَى أَلَا يُرِدْهُ إِلَيْنَّا إِذَا خَرَجَ لقصّارته ، فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام : اَللَّهُمَّ لَا تُرِدْهُ إِلَيهِمْ ، فَذَهَبَ القصّارَ لِيُقَصِّرَ الثِّيَابَ ، إِذْ جَاءَه عَابِدٌ مِمَّنْ كَانَ يُعَبِّدُ اللَّـه فِي تِلْكَ الجِبَالُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : هَلْ عِنْدَكِ طَعَامٌ لِنَفْسٍ جَائِعَة ، فَانِي لَمْ أَطْعَم مُنْذُ كَذَا وَكَذَا ، فَأَعْطَاهُ القصّارَ قَرْصَةٌ فَأَكَلَهَا ، وَقَالَ : يَا قصّار ، كَفَاكِ اللَّـه مَنْ أَنْتَ عَنْهُ غَافِلٌ ، وَغَفَرَ لَكِ وَطُهّر قَلبكَ ، فأعطاه القرصة الثانية ، فقال له يا قّصار : كفاك اللَّـه شرَّ الدنيا والآخرة ، وتاب عليك توبةً نصوحاً ، فأعطاه القرصة الثالثة ، فقال له : يا قصّار ، بنى اللَّـه لك بيتاً في الجنة ، قال فرجع القصّار بالعشي إلى القرية كعادته ، فقال أهل القرية : يا روح اللّـه هذا القصّار قد رجع ، فقال عيسى عليه الصّلاة والسّلام : أخبرني يا قصّار ، ما عملت اليوم ؟ ، قال : بينما أنا في عملي عند الجبل ، إذ أتاني عابدٌ فاستطعمني فأطعمته ثلاث

أقراص كانت معي ، فكان كلما أعطيته قرصاً ، دعا لي بدعوة ، فقال عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام : هات رزمتك حتى أنظر إليها ، فناوله أياها ، ففتحها فإذا فيها حيّة رقطاءُ مُلجمة بلجامٍ من حديد ، فقال عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام : أيتها الحية بعثت إلى هذا القصّار ؟، فقالت : نعم يا روح اللّـه ، لكن جاء عابدٌ فأطعمه ، فدعا له بثلاث دعوات ، ومَلَكٌ قائمٌ يقول آمين ، فبعث اللّـه ملكاً ألجمني كما ترى ، فقال عيسى عليه الصّلاة والسّلام : يا قصّار قد غفر اللّـه لك ، ودفع عنك البلاء ، قال : فتاب القصّار على يدي عيسى عليه الصّلاة والسّلام .

وعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ : خَرَجَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ يرضع ، فوضعته ، فَجَاءَ ذِئْبٌ فَاخْتَلَسَه منها ، ومضى به ، فَخَرَجَتْ فِي إِثْرِهِ ، و مَعَهَا رَغِيفٌ ، فَعَرَضَ لَهَا سَائِلٌ ، فَأَطْعَمَتْهُ إِيّاه ، فَجَاءَ الذِّئْبُ بين يديها ، وترك ولدها سالماً ، فَهَتَفَ هَاتِفٌ : لُقْمَةٌ بِلُقْمَةٍ .

و رُوِيَ أَنَّ الصَّدَقَةَ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ .

و عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَا ، أَنَّ امْرَأَة سائلة أتتها ، ويَدَهَا فِي كُمِّهَا فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ : مَا لَكِ لَا تُخْرِجِي يَدَكِ مِنْ كُمِّكِ ؟ ، فَقَالَتْ :يا أم المؤمنين ، كَانَ لِي أَبَوَانِ ، وَكَانَ أَبِي يُحِبُّ الصَّدَقَةَ ، وَ أُمِّي تُبْغِضُها ، فَما رَأَيْتُها تَصَدَّقَتْ قط ، إِلَّا بِقِطْعَةِ شَحْمٍ وَثَوْبٍ خَلِق ، فَلَمَّا مَاتَا رَأَيْتُهما فِي الْمَنَامِ ، وكَأَنَّ الْقِيَامَةَ

قَدْ قَامَتْ ، وَرَأَيْتُ أُمِّي قَائِمَةً ، والشَّحْمَةَ بِيَدِهَا تَلْحَسُهَا بِفِيها ، والثَّوْب الْخُلِقِ عَلَى موضع عَوْرَتِهَا ، وَهي تُنَادِي وَاعطَشَاهُ ، وَرَأَيْتُ أَبِي عَلَى شَفِيرِ (حافة) حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ يَسْقِي الْمَاءَ ، وكان يحب سَقْيِ الْمَاءَ في الحر ، قالت : فَأَخَذْتُ من أبي قَدَحاً مِنْ المَاءِ ، فَسَقَيْتُ أُمِّي ، فَنُودِيَ : أَلا مَنْ سَقَاهَا شُلَّتْ يَدُهُ ، فَانتبهتُ وَقَدْ شُلَّتْ يَدِي كما تَرِين ، فتعجبت عَائِشَة من ذلك .

و عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ : (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ، إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يوم القيامة ، فَيَنْظُرُ المرء عن يمينه ، فَلَا يَرَى شَيْئاً إِلَّا قَدمَهُ ، ثُمَّ يَنْظُرُ عن يساره فَلَا يَرَى شَيْئاً إِلَّا قَدمَهُ ، ثُمَّ يَنْظُرُ أَمَامَهُ ، فَلا يَرَى شَيْئاً إِلَا النَّارَ ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ) .

قَالَ الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : عَشْرُ خِصَالٍ يبلغ بها العبد مَنْزِلَةَ الْأَخْيَارِ : أَوَّلُهَا : الصَّدَقَةِ ، الثَّانية : تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، الثَّالِثَةُ : الْجُلُوسُ مَعَ مَنْ يُزَهِّدُهُ فِي الدُّنْيَا ، ويرغب في الآخرة ، الرَّابعة : صِلَةُ الرَّحِمِ ، الْخَامِسة : عِيَادَةُ الْمَرضى ، السَّادِسة : اجتناب مُخَالَطَةِ الْأَغْنِيَاءِ الَّذِينَ شَغَلَهُمْ غِنَاهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ ، السَّابِعة : كَثْرَةُ التَّفَكُّرِ فِي مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ ، الثَّامِنة : قِصَرُ الْأَمَلِ ، وَكَثْرَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ ، التَّاسِعة : لُزُومُ الصَّمْتِ ، وَقِلَّةُ الْكَلَامِ ، الْعَاشِرة : التَّوَاضُعُ وَحُبُّ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

و قيل : سَبْعُ خِصَالٍ تُربِّي الصَّدَقَةَ وَتُعَظِّمُهَا : أَوَّلُهَا : إِخْرَاجُهَا مِنْ الحَلَال ، لِأَنَّ اللَّـهَ تَعَالَى يَقُول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾ ، الثَّانِية : إِعْطَاؤها مِنْ القَلِيلِ ، الثَّالِثة : تَعْجِيلُهَا مَخَافَةَ الْفَوْتِ ، الرَّابِعة : أن يُعْطِيهَا مِنْ أَجْوَدِ ما عنده ، لِأَنَّ اللَّـه تَعَالَى يقول :﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ، الْخَامِسة :أن يُعْطِيهَا فِي السِّـرِّ مَخَافَةَ الرِّيَاءِ ، وَالسَّادِسة : يبعَدَ عنها الْمَنِّ ، لأن الْمَنّ يُبطِلها ، السَّابِعة : كَفُّ الْأَذى عَنْ صَاحِبِهَا ، مَخَافَةَ الْإِثْمِ ، وهذا يُبطِل الصَّدَقة ، قَالَ اللّـه تَعَالَى : ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ .

البَابُ التَّاسِعَ عَشَرَ

في فضل الشفقة على المماليك

عنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه ، أنه ضَرَبَ وَجْهَ غُلَامٍ لَهُ ، فاسْتَعْدَى عَلَيْهِ ، فشَكَى إِلَى رَسُول اللّـه ﷺ ، فَقَالَ : (لَا تَضْـرِبُوا وُجُوهَ المُصَلِّينَ ، وَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ ، وَاكْسُوهُمْ مِمَّا تَكْسُونَ ، وَإِنْ رَابُوكُمْ فَبِيعُوهُمْ ، وَلَا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللّـهِ) .

وقَالَ الشَّعْبِيّ : استَسقَى رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّـه ﷺ أَهْل بَيْتٍ ، فَدَعَتِ الْمَرْأَةُ خَادِمَتَهَا ، فَأَبطَأَتْ عَلَيْهَا ، فَقَذَفتْهَا بقبيح ، فَقَالَ : أَمَا إِنَّكِ سَتُحَدِّينَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَوْ تُقِيمِينَ أَرْبَعَةً يَشْهَدُونَ أَنَّهَا كَمَا قُلْتِ ، فَأَعْتَقَتْهَا الْمَرْأَة ، فقَالَ : عَسَى أَنْ يُكَفِّرَ هَذَا عَنْكِ .

و عنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللّـهِ ﷺ : (عَبِيدُكُمْ إِخْوَانُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللّـهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يغلبهم ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ) .

وَ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّه قِيلَ له : كَمْ تَعْفُو عَنِ الْمملوك ؟ ، قَالَ : (كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً) .

وَ قَالَ قَتَادَةَ : كَانَ مِنْ آخِرِ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ عند موتِهِ : (الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـهِ ﷺ : (دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حبستها ، فَلَا هِيَ أطْعَمتهَا ، وَلَا هِيَ أطلقتها ، تَأْكُلَ مِنْ خُشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ) .

و عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـهِ ﷺ فِي بَعْضِ خُطْبَتِهِ : (أَيُّهَا النَّاسُ ، اللَّـهَ اللَّـهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ ، وَ اكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ ، فَإِنَّهُمْ لَحْمٌ وَدَمٌ ، وَخَلْقٌ أَمْثَالُكُمْ ، مَنْ ظَلَمَهُمْ فَأَنَا خَصِيمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاللَّـهُ الحَاكِم).

وَكَانَ عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّـهِ ، إذا أخطاء غُلَامه ، قال : مَا أَشْبَهَكَ بِسَيِّدِكَ مَعَ سَيِّدِهِ .

وَ رَوَى الْحَسَنِ الْبَصْـرِيِّ : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ ، بِبَعِيرٍ مَصْقُولٍ فِي صَدْرِ النَّهَارِ ، فَقَضَى حَاجَتَهُ ، و رَجَعَ وَالْبَعِيرُ عَلَى حَالِهِ ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : (هَلْ عَلَفْتَ هَذَا الْبَعِيرَ ؟) ، قَالَ : لَا ، قَالَ : (أَمَا إِنَّهُ لَيُحَاجُّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ، يَعْنِي يُخَاصِمُكَ .

وَرُوِيَ أَنّ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا ، رَأَى كِسْـرَةَ مطروحة ، فَقَالَ لِغُلَامِهِ : أمسحها ، وَأَمِطْ عَنْهَا الْأَذَى ، فَلَمَّا أَمْسَى وَأَرَادَ الفطر ، قَالَ لِغُلَامِهِ : مَا فَعَلْتَ بِالْكِسْرَةِ ؟ ، قَالَ : أَكَلْتُهَا ، قَالَ : اذْهَبْ فإنك حُرٌّ لِوجه اللّـه تَعَالَى ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذلك ، فقال : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُول اللّـهِ ﷺ ، يَقُولُ : (مَنْ وَجَدَ كِسْرَة خُبزٍ ، رَفَعَهَا من الأرضِ ثمّ أَكَلَهَا ، لَمْ تَصِلْ إِلَى جَوْفِهِ ،

حَتَّى يَغْفِرَ اللَّـهُ لَهُ ، وأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَسْتَعْبِدَ مَنْ قَدْ غفرَ اللّـه لَهُ) ، و رُوِيَ أَنّ عَلِياً رضي الله عنه فَعَل مِثْلَ هَذَا مَعَ غُلَامِهِ .

البَابُ العِشْرُونَ
في فضل الفقر وترك الدنيا

قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه : أَوْصَانِي رَسُول اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم بِسَبْعٍ وَلَا أَتْرُكُهُنَّ : أَوْصَانِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ ، وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنِّي فِي الدُّنْيَا ، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي فيها ، وَأَنْ أَصِلَ رَحِمِي ، وَإِنْ قَطَعَنِي ، وَأَنْ أَكْثِرَ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّـه العلي العظيم ، فَإِنَّهَا كنزٌ مِنْ كُنُوزِ الجْنة ، وَ أَنْ لَا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً ، وَأَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّـهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، وَأَنْ أَقول الحقّ وإِنْ كَانَ مُرّاً ، فَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا سَقطَ سَوْطُهُ يَكْرَهُ أن يَقُولَ لِأَحَدٍ نَاوِلْنِيهِ .

وَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم : (اللَّهُمَّ مَنْ أَحَبَّنِي ارْزُقْهُ الْعَفَافَ وَالْكَفَافَ ، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فأَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ) .

وَ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، أَنَّهُ قَالَ : (الْفَقْرُ مَشَقَّةٌ فِي الدُّنْيَا ، مَسَرَّةٌ فِي الْآخِرَة ، وَالْغِنَى مَسَرَّةٌ فِي الدُّنْيَا ، مَشَقَّةٌ فِي الْآخِرَةِ) .

وَ عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـهِ ﷺ : (لِكُلِّ نبيٍّ حِرْفَةٌ ، وَحِرْفَتِي : الْفَقْرُ وَالْجِهَادُ ، فَمَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي) .

وَ رُوِيَ عَنِ رَسُول اللَّـهِ ﷺ ، أَنّه قَالَ : (يُؤْتَى بالْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَعْتَذِرُ اللَّـهُ إِلَيْهِ ، كَمَا يَعْتَذِرُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، مَا زَوَيْتُ الدُّنْيَا عَنْكَ لِهَوَانٍ بِكَ عَلَيّ ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلى مَا أَعْدَدْتُ لَكَ مِنَ الْكَرَامَةِ ، يَا عَبْدِي اخرج إِلَى هَذِهِ الصُّفُوفِ ، فَمَنْ أَطْعَمَكَ فِيَّ و كَسَاكَ فِيَّ ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهِي ، فَخُذْ بِيَدِهِ إلى الْجَنَّة ، وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ ، فيجُول بين الصُّفُوف ، وَيَنْظُرُ فمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ ، أخذ بِيَدِهِ وأَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ) .

وَرَوَى الْحَسَنُ البَصري ، عَنِ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ: (أَكْثِرُوا من مَعْرِفَةَ الْفُقَرَاءِ وَاتَّخِذُوا عِنْدَهُمُ الأَيَادِيَ ، فَإِنَّ لَهُمْ دَوْلَةً) .

قال الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : لِلْفُقَرَاءِ خَمْس كَرَامَاتٍ : أولها : أَنَّ ثَوَابَ عَمَل الفقير أَكْثَرُ مِنْ ثَوَابِ عَمَلِ الْغَنِيِّ فِي الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، الثَّانِيَة : إِن اشْتَهَى شَيْئاً وَلَمْ يقدر عليه ، لقلة ذات يده ، يضاعف اللّـه لَهُ الأَجْرُ ، الثَّالِثَة : أَنَّ الْفُقَرَاء يسبقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ ، الرَّابِعَة : أَنَّ حِسَابَهُمْ فِي الآخِرَةِ خفيفٌ يَسِيرٌ ، الْخَامِسَة : نَدَامَتَهُمْ أَقَلُّ ، لِأَنَّ الْأَغْنِيَاءَ يَتَمَنَّوْنَ هناك ، لَوْ كَانُوا فُقَرَاءَ .

وَ عَنْ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : (دِرْهَمٌ مِنَ الصَّدَقَةِ مِنْ فَقِيرٍ ، أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَم من غني) ، قالوا : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ ، قَالَ : (إذا أَخْرَجَ رَجُلٌ دِرْهَماً مِنْ دِرْهَمَيْنِ لَمْ يَمْلِكْ غَيْرَهُمَا بِطِيبَةِ نَفْسٍ ، وأَخْرَجَ رَجُلٌ مِنْ عَرْضِ مَالِهِ مِائَةَ أَلْفٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا ، فَصَارَ صَاحِبُ الدِّرْهَمِ أَفْضَلُ) .

وَقَالَ الْحَسَن ، سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيِّ ﷺ ، فقَالَ : إِذَا رَأَيْنَا أَشْيَاءَ نَشْتَهِيهَا ، وَلَا نَقْدِرُ عَلَيْهَا فَهَلْ لَنَا فِيهَا أَجْرٌ ؟ ، قَالَ : (فَفِيمَ تُؤْجَرُونَ ، إِنْ لَمْ تُؤْجَرُوا عليهَا) .

وَقَالَ الضَّحَّاكُ : مَنْ دَخَلَ السُّوق ، فَرَأَى شَيْئاً يَشْتَهِيهِ ، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ ، كَانَ خَيْراً لَهُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ يُنْفِقُهَا فِي سَبِيلِ اللَّـه تَعَالَى .

قال الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ رحمه اللّـه تَعَالى : الدَّلِيلُ عَلَى فَضْلِ الْفُقَرَاءِ ، قَوْلُ اللَّـه عزّ وجَلّ : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ، يَعْنِي أَقِيمُوا الصَّلَاةَ على وقتها ، وَآتُوا الزَّكَاةَ إِلَى الْفُقَرَاءِ ، فَقَرَنَ حَقَّ الْفُقَرَاءِ بِحَقِّ نَفْسِهِ .

و عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : (أَلَا أنبأكُمْ بِمُلُوكِ الْجَنَّةِ ؟) ، قَالُوا : بلى ، يَا رَسُول اللَّـه ، قَالَ : (هُمُ الضُّعَفَاءُ الَّذِينَ يُظَلَّمُونَ فلا يجدون ناصِراً ، وَلَا

تُفْتَحُ لَهُمْ الأَبْوَاب ، يَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ تَتَلَجْلَجُ فِي صَدْرِهِ ، وَلَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّـه لَأَبَرَّهُ) .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : مَلْعُونٌ مَنْ أَكْرَمَ الْغِنِى وَأَهَانَ الفَقِير .

و قَالَ النَّبِيّ ﷺ : (مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيٍّ لأَجْلِ غِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ ، فليتقي اللّـه في الثُلُث الباقي) .

وَعَنْ شَقِيقٍ البلخي : اخْتَارَ الْفُقَرَاءُ ثَلَاثَةَ ، وَ اخْتَارَ الْأَغْنِيَاءُ ثَلَاثَةَ ، اخْتَارَ الْفُقَرَاءُ : رَاحَةَ النَّفسِ ، وَفَرَاغَ الْقَلْبِ ، وَخِفَّةَ الْحِسَابِ ، وَاخْتَارَ الْأَغْنِيَاءُ : تَعَبَ النَّفْسِ ، وَشُغْلَ الْقَلْبِ ، وَشِدَّةَ الْحِسَابِ .

و قَالَ حَاتِم الزَّاهِدِ : مَنِ ادَّعَى أَرْبَعاً مِنْ غَيْرِ أَرْبَعٍ فَهُوَ كَذُوب : مَنِ ادَّعَى حُبَّ مَوْلَاهُ ، مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ ، يصده منْ المُحرماتِ ، وَمَنِ ادَّعَى حُبَّ الْجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ إِنْفَاقِ مَالِهِ فِي وجه الخير ، وَمَنِ ادَّعَى حُبَّ النَّبِيّ ﷺ مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ ، وَمَنِ ادَّعَى حُبَّ الدَّرَجَاتِ العليا مِنْ غَيْرِ صُحْبَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : أَرْبَعٌ مَنْ تكُن فِيهِ فَهُوَ مَحْرُومٌ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ : الْمُتَطَاوِلُ عَلَى مَنْ دونه بالمال والجاه ، وَالْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَمَنْ يَحْتَقِرُ الْغُرَبَاء ، و يُعَيِّرُ الْمَسَاكِينَ بِمَسْكَنَتِهِمْ .

وَ رُوِيَ أن النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : (لم أبعث لجمعَ المَالَ ، مَا أَوْحَى اللَّـهُ تَعَالَى إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ المَالَ ، وأَكُونَ مِنَ التَّاجِرِينَ ، وَلَكِنْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ، وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ، ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾.

و قَالَ أَبُو سَعِيدِ الخُدْرِيِّ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ لا تَحْمِلَنكُمُ الْعُسْرَةُ والفاقةِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوا الرِّزْقَ بغَيْرِ حِلِّه ، فَإِنِّي سَمِعْتُ النبيّ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ تَوَفَّنِي فَقِيراً وَلَا تَوَفَّنِي غَنِيّاً ، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْفُقَرَاء و المَسَاكِين يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ أَشْقَى الْأَشْقِيَاءِ مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ .

وعَنْ عَبْدِ اللّـهِ بْنُ عَبَّاس رَضِيَ اللّـهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ : (إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ) .

و عَنْ عَبْدِ اللّـهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّـهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ : (أَلاَ إِنَّ أَحَبَّ الخَلْقِ إِلَى اللّـهِ الْفُقَرَاءُ ، لِأَنَّهُ كَانَ أَحَبَّ الخَلْقِ إِلَى اللّـهِ الْأَنْبِيَاءُ وقد ابْتَلاهُمْ اللّـه بِالْفَقْرِ) .

و عَنِ الحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، قَالَ : أَوْحَى اللّـهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عليْهِ الصّلاة والسّلام : أَنَّهُ يَمُوتُ رَجُلٌ مِنْ أَحَبِّ الخلق إِلَيَّ ، فَائْتِهِ يا مُوسَى وَغَسِّلْهُ وكفّنْهُ ، وصلّي عليه ، وَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، فَطَلَبَهُ مُوسَى فِي الْعُمْرَانِ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فرأَى قَوْماً مِنَ الطَّيَّانِينَ ، فَسَأَلهم مُوسَى ، فَقَالُوا : رَأَيْنا رجُلاً مَرِيضاً فِي الخَرِبَةِ الفُلانية لَعَلَّكَ تُرِيدُهُ ؟ ، قَالَ: نعَمْ ، فَذَهَبَ إليه ، فَإِذَا هُوَ مَرِيضٍ

طَرِيحٍ ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ لَبِنَةٌ ، فَلَمَّا رآه مُوسَى ، بَكَى فسلّم عليه ، فردّ عليه السّلام ، فقال له مُوسَى : أَلَكَ حَاجة ؟ ، فقال : أمّا إِليك فَلا ، ولكن يا مُوسَى ، إذا أنا مت فجهزني و وارني بالتراب ، فلما كان بعد ساعة فإذا هو قد مات ، فجهّزه مُوسَى ، وقال : يا ربّ أَحَلّ عِبَادِكَ إِلَيْكَ على هذه الحالة ، فأوحى اللّـه تعالى إليه : إِذَا أَحْبَبْتُ عَبْدِي زَوَيْتُ عَنْهُ الدُّنْيَا ، وهل استطيع يا مُوسَى أن أسأله يوم القيامة ، عن اللبنة التي كانت وسادة تحت رأسه ؟ .

و قَالَ وَهْبِ بْنِ مُنبِّهٍ : تصوّر إِبْلِيسُ لسُلَيْمَان بْنِ دَاوُدَ ، عَلَى صُورَةِ شَيْخٍ ، ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : أَخْبِرْنِي بِمَا أَنْتَ صَانِعٌ بِأُمَّةِ رُوحِ القدس ؟ ، يَعْنِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : لَأَجْعلنهم يَتَّخِذُونَه إِلهاً مِنْ دُونِ اللَّـهِ ، قَالَ : فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ ، قَالَ : لآتينهم من قبل الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ ، ولأجعلنه أَشْهَى عندهم مِنْ شهادة لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ محمد رسول اللّـه ، إلاّ من عصمه اللّـه ، فقَالَ له سُلَيْمَانُ عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أَعُوذُ بِاللهِّ مِنْكَ ، فغاص إبليس في الأرض .

وَ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : أنّه عُرِضَ عَلَيه بَطْحَاءُ مَكَّةَ ذَهَباً ، فقَالَ : (يا رَبُّ ، بل أَشْبَعُ يَوْماً ، فَأَحْمَدُكَ ، وأجوعُ يَوْماً ، فَأَتضَـرَعُ إِلَيْكَ) .

البَابُ الحَادِي وَالعِشْرُونَ

في فضل أمة سيدنا محمد ﷺ

قَالَ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ : قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : يَا رَبُّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ قَوْماً هُمُ الشَّافِعُونَ ، فَاجْعَلْهُمْ يا ربُّ أُمَّتِي ، قَالَ: هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، قَالَ : يَا رَبُّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً كَفَّارَةُ خَطَايَاهُمُ الصَّلَاة ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي ، قَالَ : هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، قَالَ : يَا رَبُّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدٌ بِالحَسَنَةِ ، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، و إن لَمْ يَعْمَلْهَا ، فَإِن عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَة ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي ، قَالَ : هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، قَالَ : يَا رَبُّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ ، أُمَّةً يَدْخُلُ مِنْهُمْ الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ ، مع كلِ واحدٍ سَبْعُونَ أَلْفاً ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي ، قَالَ : هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، يَا رَبُّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أخرجت للنَّاسِ ، يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْن عَنِ المُنْكَرِ ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي ، قَالَ : هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، قَالَ : يَا رَبُّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي ، قَالَ: هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ، فتمنّى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، أن يكون من أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فأوحى اللّـه تَعَالى إِليه : ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ .

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : (أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي : أُرْسِلْتُ إِلَى النَّاس كافة ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَأُحِلَّت لِيَ الغنائم ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ) .

وَ رُوِيَ أن عُمَر تقاول هو و يَهُودِيّ ، فَقَالَ عُمَرَ : وَالَّذِي اصْطَفَى محمداً عَلَى الْبَشَرِ ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : مَا اصْطَفَاه عَلَى الْبَشَـرِ ، فَلَطَمَه عُمَرُ ، فَرفع الْيَهُودِيّ إلى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : إِنَّ عُمَرَ زَعَمَ أَنَّ اللَّـهَ اصْطَفَاكَ عَلَى الْبَشَرِ ، و زَعَمْتُ أَنَّ اللَّـهَ لَمْ يَصْطَفِيكَ عَلَى الْبَشَـرِ، فَلَطَمَنِي في حر وجهي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (أَمَّا أَنْتَ يَا عُمَرُ فَأَرْضِهِ) ، ثُمَّ قَالَ : (إِنَّ آدَمَ صَفِيُّ اللَّـهِ ، وَإِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّـهِ ، وَمُوسَى نَبِيُّ اللَّـهِ ، وَعِيسَى رُوحُ اللَّـهِ ، وَأَنَا حَبِيبُ اللَّـهِ ، و سَمَّى نَفْسَهُ السَّلَامَ ، و سَمَّى أُمَّتِي الْمُسْلِمِينَ ، وَسَمَّى نَفْسَهُ الْمُؤْمِنَ ، وَسَمَّى اللَّـهُ أُمَّتِي الْمُؤْمِنِينَ ، يَا يَهُودِيُّ أَنْتُمُ الْأَوَّلُونَ فِي الدُّنْيَا ، وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، و إِنَّ الْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى سائِرِ الْأُمَمِ ، حَتَّى تَدْخُلها أُمَّتِي) .

و قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ رضي الله عنه : إِنَّ اللَّـهَ تَعَالَى أَكْرَمَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِثَلَاثَةٍ قد أَكْرَمَ بِهَا أَنْبِيَاءَهُ : جَعَلَ كُلَّ نَبِيٍّ شَاهِداً عَلَى قَوْمِهِ ، وَجَعَلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، وَقَالَ لِلرُّسُلِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ ، وَقَالَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ ، وَقَالَ : لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، وَقَالَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ .

وعن كثير بن سليمان قال : لقيتُ أنس بن مالك بواسطة ، فسمعته يَقُولَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ ، يَقُول : (أُمَّتِي أُمَّتِي ، مَرْحُومَةٌ فِي الْآخِرَة ، لا عَذَاب عَلَيْهَا ، وإنما عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا بالْفِتَنِ وَالزَّلَازِلِ ، فإذا كان يوم القيامة دفع اللّـه لكل مؤمن ومؤمنة ، ومسلم ومسلمة ، رجُلاً من المشركين ، فيقال : هذا فداؤك من النَّار) .

وعَنْ الحَسَن البَصْرِيّ ، قَالَ : ما أنفق العبد نفقة ، هي أحب إلى اللّـه تعالى ، من تلاوة القرآن ، والثناء على اللّـه تعالى عزّ وجلّ .

البَابُ الثَّانِي وَالعِشْرُونَ

فيما ورد في العمل بالسنة الشريفة

أخبرنا مَالِكٍ ، قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ ، قَالَ : (تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابَ اللَّـهِ وَسُنَّةَ نَبِيهِ) .

و عَنِ الْحَسَنِ رضي الله عنه ، أَنَّهُ قَالَ : لَا يَصْلُحُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ ، وَلَا يَصْلُحُ قَوْلٌ وعَمَلٌ و نِيَّةٌ إِلَّا بنِيَّة .

وَ رَوَى مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : (رَجُلَانِ لَا تَنَاهُم شَفَاعَتِي : إِمَامٌ ظالمٌ ظَلُومٌ ، وَغَالٍ فِي الدِّينِ مَارِقٌ مِنْهُ) ، يَعْنِي الَّذِي يَغْلُو فِي دِينِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ طَرِيقِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ كالفرق الضَّالة .

و عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : (الْـمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي ، لَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ) .

وعَنِ الْعِرْبَاض بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ : وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الصَّحَابَةِ : يَا رَسُولَ اللَّـهِ ، هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ ماذا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ ، فقَالَ : (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّـه وَالسَّمْعِ ، وَالطَّاعَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي ، فسيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً ، فَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ ، فَمَنْ أَدْرَكَها

مِنْكُمْ ، فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي ، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ من بعدي ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ) .

وَ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : (لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ ، وَ آفَةَ هَذَا الأمة الْأَهْوَاءُ) ، وَعَنِ الشَّعْبِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنَّمَا سُمِّيَتِ الْأَهْوَاءُ أَهْوَاءً ، لِأَنَّهَا تَهْوِي بِصَاحِبِهَا فِي النَّارِ .

وَقَالَ أُوَيْسُ الْقَرْنِيُّ رضي الله عنه ، فِي وَصِيَّةِ لِهَرِم بْنِ حَيَّانَ : إِيَّاكَ أَنْ تُفَارِقَ الْجَمَاعَةَ فَتُفَارِقَ دِينَكَ ، وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ ، فَتَدْخُلَ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أعاذنا اللّـه منها والمسلمين .

الباب الثالث والعشرون

في الزجر عن شرب الخمر

قَالَ عَبْدُ اللَّـه بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّـهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشَارِبِ الْخَمْرِ مُسْوَدّاً وَجْهُهُ ، مُزْرَقَّةً عَيْنَاهُ ، مُدْلَياً لِسَانُهُ عَلَى صَدْرِهِ ، يَسِيلُ لُعَابُهُ ، حتَّى يَسْتَقْذِرُهُ كُلُّ مَنْ يَرَاهُ ، فَلَا تُسَلِّمُوا عَلَى شَارِبِي الْخَمْرِ ، وَلَا تَعُودُوهُمْ إِذَا مَرِضُوا ، وَلَا تُصَلُّوا عَلَيْهِمْ إِذَا مَاتُوا .

وَقَالَ مَسْرُوق رحمهُ اللّـه : شَارِبُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ الْوَثَنِ ، يَعْنِي إِنِ اسْتَحَلَّ شُرْبَهَا .

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ رضي الله عنه : لَأَنْ أَشْرَبَ قَدَحاً مِنْ نَارٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَشْرَبَ قَدَحاً من خَمْر .

وعَنِ عَبدِ اللَّـهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّـهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـه صلى الله عليه وسلم : (كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، و كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ مُدمنٌ وَلَمْ يَتُبْ ، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ) .

و عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّـهِ ، رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم : (مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ) .

وَقَالَ الضَّحَّاكُ : مَنْ مَاتَ مُدْمِنُ خَمْرٍ بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَكْرَان .

وَقَالَ قَتَادَةَ : ذكر رَسُول اللَّـهِ ﷺ فقَالَ : (أَرْبَعَةٌ لَا يَجِدُونَ رِيحَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ فِي مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ : الْبَخِيلُ ، وَالنَّمَّامُ ، وَشارِبِ الْخَمْرِ وَمُدْمِن عليها ، وَالْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ) .

وَقَالَ عبد اللّـه بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : لُعِنَ فِي الْخَمْرِ عَشَـرَةٌ من الناس : عَاصِرُها ، وَالْمَعْصُورَةُ لَهُ ، وَشَارِبُهَا ، وَسَاقِيهَا ، وَحَامِلُهَا ، وَالْمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ ، وَ الْمُتْجِرُ فيهَا ، وَ بَائِعُهَا ، وَ الْمُبتَاعة لَهُ ، وغَارِسُهَا .

وَ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : (إذا سقطت قطعة خمرٍ في منزلٍ ، لم تدخله الملائكة أربعين يوماً) .

وَ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : (يَخْرُجُ شَارِبُ الْخَمْرِ مِنْ قَبْرِهِ سَكْرَان، فيَلْبَسُ نَعْلَيْن مِنْ نَارٍ ، يَغْلِي منها دِمَاغُهُ ، وَيَكُونُ فِي النَّارِ قَرِيباً فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ و قَارُونَ) .

وَ رَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَا ، أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَطْعَمَ شَارِبَ الْخَمْرِ لُقْمَةً ، سُلِّطَ عَلَيه حَيَّةً وَعَقْرَباً ، وَمَنْ جَالَسَهُ حَشَـرَهُ اللَّـهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَى لَا حُجَة لَهُ ، و شَارِب الْخَمْرِ مَلْعُونٌ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْفُرْقَانِ ، وَلَا يَسْتَحِلّهاُ إِلَّا كَافِرٌ) .

وعن محمدٍ بن وضّاح ، يرفعه إلى النَّبِيِّ ﷺ ، قال : لكل أمة مجوس ، ومجوس أمتي الذين يشـربون الخمر ، قيل : ولم ذلك يا رسول اللّـه ؟ ، قال :

ليس بين الكفر والإيمان إلا ترك الصلاة ، فمن ترك الصلاة عامداً ، فقد كفر باللَّـه ، و شاربو الخمر يتركون الصلاة في أوقاتها ، قال اللَّـه تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ ، وهو وادي في جهنم لا يدخله إلا تارك الصلاة في أوقاتها .

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ ، قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ ، يَقُولُ : (مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَجَعَلَهَا فِي بَطْنِهِ ، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ صَلَاتُهُ سَبْعَة أيام ، فَإِنْ هِيَ أَذْهَبَتْ عَقْلَهُ لَمْ تُقْبَلْ صَلَاتُهُ أَرْبَعُونَ يَوْماً ، فَإِنْ مَاتَ فقد مَاتَ كَافِراً ، وَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّـهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَادَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّـهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ) .

وعَنْ ابْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، قَالَ : مَنْ زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ شَارِبِ الْخَمْرِ ، فَكَأَنَّمَا سَاقَهَا إِلَى الزِّنَى ، وَمعْنَى ذلك أَنَّ شَارِبَ الْخَمْرِ ربما حلف الطَّلَاق ، فحنث فتحرم عليه زوجه ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ .

وعَنْ ابْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، قَالَ : مَنْ شَرِبَ الْخَمْر نَهَاراً ، أَشْرَكَ حَتَّى يُمْسِي ، وَ مَنْ شَرِبَهَا لَيْلاً أَشْرَكَ حَتَّى يُصْبِحَ .

وقَالَ رضي الله عنه : إِذَا مَاتَ شَارِبُ الْخَمْرِ فادْفِنُوهُ ، ثُمَّ انْبِشُوا قَبْرَهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوهُ مصروفاً عَنِ الْقِبْلَةِ فَاقْتُلُونِي .

وعَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، أَنَّهُ قَالَ : (بَعَثَنِي اللَّـهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَبَعَثَنِي لِأَمْحُوَ الْمَعَازِفَ وَالْمَزَامِيرَ وَأَمْحُو الْجَاهِلِيَّةِ وَالْأَوْثَانَ ، وَحَلَفَ رَبِّي بِعِزَّتِهِ لَا يَشْرَبُ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي الْخَمْرَ ، فِي الدُّنْيَا ، إِلَّا حَرَّمَهَا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَتْرُكُهَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي إِلَّا سَقَيْتُهُ مِنْ حَظِيرَةِ الْقُدْسِ) .

قَالَ أَوْسُ بْنُ سَمْعَانَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَأَجِدُهَا فِي التَّوْرَاةِ مُحَرَّمَةً خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً ، وَيْلٌ لِشَارِبِ الْخَمْرِ ، وَيْلٌ لِشَارِبِ الْخَمْرِ ، وَحَقٌّ عَلَى اللَّـهِ أَلَا يَشْرَبَهَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِهِ إِلَّا سَقَاهُ اللَّـهُ عزّ وجلّ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ .

الباب الرابع والعشرون

في التفكر

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحَ ، قَالَ : دَخَلْتُ مَعَ عبد اللَّـه بْنِ عُمَرَ وَعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَا ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ: مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ ، فَقُلْنَا : عَبْدُ اللَّـه بْنُ عُمَرَ ، وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ ، قَالَتْ : مَرْحباً بِكَ يَا عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ مَا لَكَ لَا تَزُورُنَا ؟ ، فَقَالَ عُبَيْدٌ : زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : حَدِّثِينَا بِأَعْجَبِ مَا رَأَيْتِ مِنْ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : كُلُّ أَمْرِهِ عَجِيبٌ ، أَتَانِي فِي لَيْلَتِي ، فَدَخَلَ فِرَاشِي حَتَّى مَسّ جِلْدَهُ جِلْدِي ، فَقَالَ : (يَا عَائِشَةُ ، أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَتَعَبَّدَ لِرَبِّي) ، قُلْتُ : وَاللّـهِ لَأُحِبُّ قُرْبَكَ ، وَأُحِبُّ ما تُحب ، فَقَامَ إِلَى قِرْبَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ، ثُمَّ قَامَ وهو يبْكِي ، حَتَّى بَلَغَتِ الدُّمُوعُ حِجْرَهُ ، ثُمَّ اتَّكَأَ إِلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ، وَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ الْأَيْمَنِ ، وَبَكَى حَتَّى رَأَيْتُ الدُّمُوعَ بَلَغَتِ الْأَرْضَ ، فلما أَذَّنَ بِلَالُ الْفَجْر ، أَتَاهُ وهو يَبْكِي ، فقَالَ : ما يُبْكِيك يَا رَسُولَ اللّـهِ ، وَقَدْ غُفِرَ اللّـهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ ، فقَالَ : (يَا بِلَالُ ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً ، فَمَا لِي لَا أَبْكِي ، وَقَدْ أَنزَلَ اللّـه اللَّيْلَةَ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى

خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ، ثُمَّ قَالَ : (وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتفكَّرْ فِيهَا) .

و قَالَ عَامِر بْنِ قَيْسٍ : أَكْثَرُ النَّاسِ فَرحاً فِي الْآخِرَةِ أَطْوَلُهُمْ حُزْناً فِي الدُّنْيَا ، وَأَكْثَرُهم ضَحِكاً فِي الْآخِرَةِ ، أَكْثَرُهُمْ بُكَاءاً فِي الدُّنْيَا ، وَأَخْلَصُهم إِيمَاناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَكْثَرُهُمْ تَفكُّراً فِي الدُّنْيَا في مخلوقات اللّـه عزّ وجلّ .

و عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : (إِنَّ مِنَ النَّاسِ أُنَّاس مَفَاتِيحُ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقُ لِلشَّرِّ ، وَلَهُمْ بِذَلِكَ أَجْرٌ ، وَمِنَ النَّاسِ أُنَّاس مَفَاتِيحُ لِلشَّرِّ مَغَالِيقُ لِلْخَيْرِ ، وَعَلَيْهِمْ بِذَلِكَ إِصْرٌ ، يَعْنِي إِثْمٌ كَبِيرٌ ، طُوبَى لِمَنْ جُعِلَ مِفْتَاحاً لِلْخَيْرِ ، مِغْلَاقاً لِلشَّرِّ ، وَتَفكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ) .

وَكان يُقَالُ : أَخْلَاقُ الْأَبْدَالِ عَشَرَةُ أَشْيَاءَ : سَلَامَةُ الصُّدُورِ ، وَسَخَاوَةٌ فِي الْمَالِ ، وَصِدْقٌ من اللِّسَانِ ، وَتَوَاضُعٌ في النَّفْسِ ، وَ صبْرٌ فِي الشِّدَّةِ ، وَ حُضورٌ و تَوَجُهٌ فِي الْخُلْوَةِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِلْخَلْقِ ، وَالرَّحْمَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَ تفكُّرُ الْفَنَاءِ ، وَالْعِبَرِ فِي الْأَشْيَاءَ .

وَقَالَ مَكْحُولُ الشَّامِيُّ : يَنْبَغِي لِمَنْ آوَى إِلَى فِرَاشِهِ ، أَنْ يَتفكَّرَ فِيمَا صَنَعَ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ ، فَإِنْ عَمِلَ خَيْراً ، حَمَدَ اللَّـهَ تَعَالَى ، وَإِنْ عَمِلَ ذَنْباً ، اسْتَغْفَرَ اللَّـهَ تَعَالَى ، وَرَجَعَ منْ قَرِيبٍ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذلك ، كَانَ مثل التَّاجِرِ الَّذِي يُنْفِقُ ، وَلَا يَحْسِبُ حَتَّى يُفْلِسَ وَلَا يَشْعُر .

وَقَالَ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ : قُلْتُ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : حَدِّثْنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ ، ثُمَّ حَفِظْتَهُ ، وَذَكَرْتَهُ كُلَّ يَوْمٍ بعدمَا حَدَّثَك بِهِ ، فَبَكَى مُعَاذُ ، حَتَّى قُلْتُ : لَا يَسْكُتُ ، فسَكَتَ ، ثُمَّ قَالَ : يا بُني ، حَدَثَنِي رَسُول اللَّـهِ ﷺ ، وَأَنَا رَدِيفُهُ ، بينما نحن نسير ، إِذْ رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، ثمّ قَالَ : (الْحُمْدُ لِلَّـهِ الَّذِي يَقْضِي فِي خَلْقِهِ بِمَا أَحَبَّ) ، ثُمَّ قَالَ : (يَا مُعَاذُ) ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ وسيد المرسلين وإِمَامَ الْخَيْرِ وَنَبِيَّ الرَّحْمَةِ ، فَقَالَ : (لأُحَدِّثُكَ حَدِيثاً مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ أُمَّتَهُ ، إِنْ حَفِظْتَهُ نَفَعَكَ ، وَإِنْ سَمِعْتَهُ وَلَمْ تَحْفَظْهُ انْقَطَعَتْ حُجَّتُكَ عِنْدَ اللَّـه يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ، قَالَ : (إِنَّ اللَّـهَ تَعَالَى خَلَقَ سَبْع أَمْلَاكٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، لِكُلِّ سَمَاءٍ مَلَكٌ ، وَجَعَلَ على كُلِّ بَابٍ مِنْهَا بَوَّاباً ، فَتكتُب الْحَفَظَةُ عَمَلَ الْعَبْدِ مِنْ حِينِ يُصْبِحُ إلى حين يُمْسِي ، و يُرْفَعُ ، وَلَهُ نُورٌ كَنُورِ الشَّمْسِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ سَمَاءَ الدُّنْيَا فَيُزَكِّيهِ ، وَيُكَثِّرُهُ ، فَيَقُولُ هم الْمَلَكُ : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَقُولُوا لَهُ : لَا غَفَرَ اللَّـهُ لَكَ ، أَنَا الْمَلَك صَاحِبُ الْغِيبَةِ ، وَهُوَ يَغْتَابُ الْمُسْلِمِينَ ، فمن اغتاب الناس فإِنّي لَا أَدَعُ عَمَلَهُ أَنْ يتجَاوِزَنِي إِلَى غَيْرِي ، ثُمّ تَصْعَد بِعَمَلِ الْعَبْدِ من أعمال البر ، فتنميه وتُزَكِّيه حَتَّى بلغ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَيَقُولُ هم المَلَك الّذي في السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، لَا أَدَعُ عَمَلَهُ أَنْ فيجَاوِزَنِي إِلَى غَيْرِي ، ثُمّ تصْعَد بِعَمَلِ الْعَبْدِ مُبْتَهِجاً بِهِ ، بِصَدَقَةٍ وصيامٍ

وَصَلاَةٍ كَثِيرَةٍ ، فَيَتَعْجَبُ الْحَفَظَةُ ، فَيَتَجَاوَزُونَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَيَقُولُ لهم الْمَلَكُ الذي في السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَقُولُوا لَهُ : لَا غَفَرَ اللَّـهُ لَكَ ، أَنَا الْمَلَكُ الموكل بالْكِبْرِ ، إِنَّهُ مَنْ عَمِلَ وَتَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يتجاوزني إِلَى غَيْرِي ، قَالَ : وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ ، وَهُوَ يَزْهُو كَمَا تَزْهُو النُّجُوم من تَسْبِيحٍ وتهليلٍ وَصَوْمٍ ، فَيَمُرُّون بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ لهم الْمَلَكُ : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَقُولُوا لَهُ : لَا غَفَرَ اللَّـهُ لَكَ ، أَنَا الْمَلَكُ الموكل بالْعُجْب ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنَّ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَدْخَلَ فِيهِ الْعُجْبَ ، أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يتجاوزني إِلَى غَيْرِي ، فَيُضْـرَبُ بِالْعَمَلِ وَجْه صَاحِبه ، وَتلْعَنُهُ الْمَلَائِكَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، قَالَ : وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ كَالْعَرُوسِ الْمَزْفُوفَةِ إِلَى زَوْجِهَا ، فَيَمُرُّون بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ بِالْجِهَادِ وَالصَّدقة ، فَيَقُولُ لهم الْمَلَكُ : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَاحْمِلُوهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، إِنَّهُ يَحْسُد مَنْ يَتَعَلَّم وَيَعْمَل لِلَّـه ، فَهُوَ يَحْسُدُهُمْ وَيَقَعُ فِيهِمْ ، فَيَحْمِلُوهُ عَلَى عَاتِقِهِم ، وَتَلْعَنُهُ حَفَظَتُهُ مَا دَامَ هُوَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، قَالَ : وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ من وُضُوءٍ تَامٍ و طَهارةٍ ، وَصَلَاةٍ في جوْفِ اللَّيْل ، فَتَمُرُّ بِهِ الْحَفَظَة إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَيَقُولُ لهم الْمَلَكُ الذي فيها : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَنَا الْمَلَكُ الموكل بالرَّحْمَةِ ، إِنَّ صَاحِب هَذَا الْعَمَلِ لَا يَرْحَمْ قط أحداً

، و إنْ أَصابَ عَبْداً مِنْ عِبادِ اللَّــهِ ذَنْباً أَوْ ضُرّاً شَمّتَ بِهِ ، أَمَرَنِي رَبِّي أَلَا يتجاوزَنِي عَمَلُهُ إِلَى غَيْرِي ، قَالَ : وَتَصْعَدُ المَلَائِكَة بِعَمَلِ الْعَبْدِ من زكاةٍ ونفقةٍ وجهادٍ ، وَ وَرَعٍ لَهُ ضَوْءٌ كَضَوْءِ الْبَرْقِ ، وَ تَــمُرُّ بِهِ المَلَائِكَة إِلَى السَّماءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ لهُم المَلَكُ : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَاقْفُلُوا عَلَى قَلْبه ، أَنَا مَلَكُ الحِجَابِ أَحْجُبُ كُلَّ عَمَلٍ لَيْسَ خالصاً لوجهِ للهِ تَعَالَى ، إِنَّهُ أَرَادَ بِهذا العمل الرِّفْعَةَ ، وَذِكْراً فِي المَجَالِسِ ، وَصِيتًا فِي المَدَائِنِ ، أَمَرَنِي رَبِّي أَلَا يتَجاوزَنِي عَمَلَهُ إِلَى غَيْرِي ، قَالَ : وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مُبْتَهِجاً ، بِهِ خُلُقٍ حَسَنٍ ، وَصَمْتٍ ، وَذِكْرٍ كَثِيرٍ ، حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى الحُجب تَحْتِ الْعَرْشِ وَيَشْهَدُونَ لَهُ ، فَيَقُولُ لهم الرَّب تبارَك وتَعَالَى : أَنْتُمُ الحَفَظَةُ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي ، وَأَنَا الرَّقِيبُ عَلَى مَا فِي قلبِهِ ، إِنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهِي ، فَعَلَيْهِ لَعْنَتِي ، فَيَقُولُ المَلَائِكَةُ اجْمَعُهُمْ : عَلَيْهِ لَعْنَتك وَ لَعْنَتُنَا يا ربّ ، ثُمَّ بَكَى مُعَاذٌ فَقَالَ : مَا الَّذِي أَعْمَل يَا رَسُولَ اللّـهِ ؟ ، قَالَ : (اقْتَدِي بِنَبِيِّكِ يا مُعَاذُ ، وَعَلَيْكَ بالْيَقِينُ ، وَإِنْ كَانَ فِي عَمَلِكَ تَقْصِيرٌ ، وَاقْطَعْ لِسَانَكَ عَنْ إِخْوَانِكَ ، وَلْتكُنْ ذُنُوبُكَ عَلَيْكَ ، فَلَا تُزَكِّي نَفْسَكَ ، ، وَلَا تَحْمِلْهَا مع إِخْوَانِكَ بذَنْبِ إِخْوَانِكَ ، وَلَا تَرْفَعْ نَفْسَكَ بِوَضْعِ إِخْوَانِكَ ، وَلَا تُرائي بِعَمَلِكَ النَّاسَ) .

الباب الخامس والعشرون

في الحزن والاجتهاد للآخرة

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الحَجَّاجِ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : زِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ، لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ .

و رَوَى أَبُو ذَرٍّ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فِيمَا يروِيهِ عَنْ رَبِّهِ فِي الأَحَادِيثِ القُدسيّة ، أَنَّهُ قَالَ : يقُولُ اللّـهُ تَعَالَى : (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ مُحَرَّماً بَيْنَكُمْ ، فَلَا تَظالمُوا ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَيْتُهُ ، فَاستكْسُونِي أَكْسُكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَمْ تبلُغُوا ضُرِّي فتضـرُّونِي ، ولَمْ تتبلغُوا نَفْعِي فتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا على صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا

نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي ، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا غُمِسَ فِي الْبَحْرِ ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً ، فَلْيَحْمَدِ اللَّـهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ لَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ) .

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنِ رَسُولِ ﷺ : (مَا اغْرَوْرَقَتْ أو ذرفت عَيْنٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّـهُ عَلَى النَّارِ أن تحرقها ، فَإِنْ فَاضَتْ عَلَى وَجْهِ صَاحِبِهَا ، لَمْ يَرْهَقْ وَجْهَهُ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ، وَمَا كان مِنْ عَمَلِ بِرٍّ إِلَّا وَلَهُ ثَوَابٌ ، إِلَّا الدَّمْعَةَ فَإِنَّهَا تُطْفِئُ بُحُوراً مِنْ النَّار ، وَلَوْ أَنَّ عَبْداً بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ فِي أُمَّةٍ ، فَرَحِمَ اللَّـهُ تِلْكَ الْأُمَّةَ بِبُكَاءِ ذَلِكَ الْعَبْدِ) .

وَ رُوِيَ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ ، أَنَّهُ قَالَ : لَأَنْ أَبْكِيَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ حَتَّى يَسِيلَ دمْعِي عَلَى وَجْنَتَيَّ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِوَزْنِ نَفْسِي ذَهَباً ، وَمَا مِنْ بَاكٍ يَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ ، حَتَّى تَسِيلَ قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعِهِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، فَتَمَسَّهُ النَّارُ ، حَتَّى يَرْجِعَ قَطْرُ السَّمَاءِ وَلَيْسَ بِرَاجِعٍ ، أَيْ كَمَا أَنَّ قَطْرَ السَّمَاءِ إِذَا نَزَلَ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهَا أَبَداً ، فَكَذَلِكَ الإِنْسَان الَّذِي يَبْكِي فِي الدُّنْيَا مِنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ ، لَا تَمَسُّهُ النَّارُ أَبَداً .

وَ رُوِيَ عَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، أَنَّهُ مَا شَرِبَ شَرَاباً بَعْدَ الذَّنْبِ ، إِلَّا وَنِصْفُهُ مَمْزُوجٌ بِدُمُوعِ عَيْنَيْهِ .

الباب السادس والعشرون

في الزجر عن التكبر

عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ رضي الله عنه ، قَالَ : (يَأْتِي الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذُراً فِي صُوَرِ الرِّجَالِ ، يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَيُلْقُونَ فِي النَّارِ ، و يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ ، وَهِيَ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ.

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم : (ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّـه إِلَيْهِمْ يَوْم القِيامة وَلَا يُكَلِّمُهُمُ وَلَا يُزَكِيهِم ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، وَ سُلْطَانٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ) ، العَائِل يعني الفقير .

و رَوَى يَحْيَى بْنِ جعْدَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذرةٍ أَوْ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ) ، فقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّـهِ ، لَيُعْجِبُنِي نَقَاءُ ثَوْبِي ، وَشِرَاكُ نَعْلِي ، وَعِلَاقَةُ سَوْطِي ، أَهَذَا مِنَ الْكِبْرِ ؟ ، قَالَ : (لَا ، إِنَّ اللَّـهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، وإِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَة أَحبّ أَنْ يَرَى أَثَرَهَا عَلَيْهِ ، وَيُبْغِضُ الْبُؤْسَ والتباؤُس ، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ أَنْ يسْفَهَ الْحَقَّ وَيَغْمِصَ الْخَلْقَ) .

وَ رُوِي عن الْحَسَنِ البَصْرِيّ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : (مَنْ خَصَفَ نَعْلَهُ ، وَرَقَّعَ ثَوْبَهُ ، وَعَفَّرَ وَجْهَهُ لِلَّـهِ فِي السُّجُودِ ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الْكِبْرِ).

وَ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : (مَنْ لَبِسَ الصُّوفَ ، وَانْتَعَلَ الْمَخْصُوفَ ، وَرَكِبَ حِمَارَهُ ، وَحَلَبَ شَاتَهُ ، وَأَكَلَ مَعَ عِيَالِهِ ، وَجَلَسَ مَعَ الْمَسَاكِينَ ، فَقَدْ نَجّاهُ اللَّـه تَعَالَى عَنْهُ الْكِبْرَ) .

وَ رُوِيَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، قَالَ : يَا رَبُّ مَنْ أَبْغَضُ خَلْقِكَ إِلَيْكَ؟ ، قَالَ : يا مُوسَى مَنْ تَكَبَّرَ قَلْبُهُ ، وَغَلُظَ لِسَانُهُ ، وَضَعُفَ يَقِينُهُ ، وَبَخِلَتْ يَدُهُ .

وقيل : أَنَّ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ ، مَرَّ عَلَى مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّـهِ ، وَهُوَ يَتبَخْتَرُ فِي حُلَّةِ خَزٍّ ، فَقَالَ لَهُ مُطَرِّفٌ : يَا عَبْدَ اللّـهِ هَذِهِ مِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللّـهُ تَعَالَى ، فَقَالَ لهُ الْمُهَلَّبُ : أَمَا تَعْرِفُنِي ؟ ، فَقَالَ : نعم ، أَعْرِفُكَ ، قَالَ : منْ أنَا ، قَالَ : أنت الذي أَوَّلُكَ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ ، وَآخِرُكَ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ ، وَأَنْتَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ تَحْمِلُ الْعُذْرَةَ ، فاستحى الْمُهَلَّب وَتَرَكَ تِلْكَ الْمِشْية .

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ : (مَا تَوَاضَعَ للَّـهِ رَجُلٌ إِلَّا رَفَعَهُ اللّـهُ تَعَالَى) .

وقال الْفَقِيهُ أَبو اللَّيْثِ : اعْلَمْ أَنَّ الْكِبْرَ مِنْ أَخْلَاقِ الْكُفَّارِ ، وَالتَّوَاضُعُ مِنْ أَخْلَاقِ الصَّالِحِينَ، وقد وَصَفَ الْكُفَّارَ بقوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ، وَقَالَ اللَّـه تَعَالَى : ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ ،

وأمر نبيه ﷺ بالتواضعِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ .

وَرُوِيَ أَيْضَاً عَنْ عُمَر بْنَ الخَطَّاب رضي الله عنه ، لمّا توجه إلى الشّام ، جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غُلَامِهِ نوبَةً فِي الرُّكُوبِ ، فَرَكِبَ الْغُلامُ وَأَخَذَ عُمَرُ بِزِمَامِ النَّاقَةِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ المَاءُ فِي الطَّرِيقِ ، فَجعَلَ عُمَرُ يَخُوضُ فِي المَاءِ ، زِمَامِ النَّاقَةِ بيده و الْغُلامُ راكب ، فلقيه أَبُو عُبَيْدَةَ عامر بْنُ الجَرَّاحِ رضي الله عنه ، وَكَانَ أَحد الأمراء عَلَى الشَّامِ كُله ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إِنَّ أُمَرَاء الشَّامِ و جُيُوش المسليمن ، خرُجُوا للقتال ، وَلَا أحبُّ أَنْ يَرَوْكَ عَلَى هَذِهِ الحَالَةِ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ، إِنَّ اللّـه تَعَالَى أَعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ ، فَلَا تُبَالِي بكلامِ النَّاسِ ، ولا تَطْلُب العِزّة إلا من اللّـه تَعَالَى .

وَ رَوَى الحَسَنُ البصْرِيّ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : (أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ ، فَخُيِّرْتُ أَنْ أَكُونَ نَبِيّاً عَبْداً ، أَوْ نَبِيّاً مَلِكاً ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ جِبْرِيلُ أَنْ تَوَاضَعْ وَكُنْ عَبْداً ، فَاخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ نَبِيّاً عَبْداً ، فَأُوتِيتُ على ذَلِكَ ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ يَوْم القِيَامة) .

و قَالَ قَتَادَةَ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ النَبيَّ اللّـهِ ﷺ قَالَ : (مَنْ مَاتَ وَ هُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثة دَخَلَ الجَنَّةَ : الْكِبْرِ وَالخِيَانَةِ وَالدَّيْنِ) .

وَ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن ربه عزّ وجَلّ ، قَالَ اللّـه تَعَالَى : (الْعَظَمَةُ إِزَارِي ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي فِي وَاحِدٍ مِنْهَا أُلْقِيهِ فِي النَّارِ ولا أُبَالِي) .

قال الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : معنى قول الْعَظَمَةُ إِزَارِي وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، إِنَّهُمَا مِنْ صِفَاتِي ، كَمَا فِي كتابه : ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ ، فَهاتَان الصِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِ اللَّـه تَعَالَى ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ الضَّعِيفِ أَنْ يَتَكَبَّرَ ، فإذا تكبر مقته اللّـه تعالى .

البَابُ السَّابِع وَالعِشْرُونَ
في الزجر عن الزنا

قال الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : إذا زنا المسلم ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مُحْصَناً ، وَجبْ عَلَيْهِ مِائَةُ جَلْدَة .

جاء في الخبر :أَنّهُ إِذَا يُجْلد فِي الدُّنْيَا ، جُلِدَ فِي الآخِرَةِ بِسِيَاطٍ مِنْ نَارٍ ، فإن كان الزاني محصناً فحده الرجم بالحجارة إلى أن يموت ، كَمَا رَجَمَ النَّبِيِّ ﷺ مَاعِزاً رضي الله عنه .

وفي الحديث : (تَابَ مَاعِز تَوْبَةً ، لَوْ قُسِمَتْ على أهل الأرض كلهم لَوَسِعَتْهُمْ) ، أو كما قال .

وَ رُوِيَ إِنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَعْتَرَفتْ بِالزِّنَى ، وَكَانت حَامِلاً ، فَأَمْهَلَهَا أَنْ تَرْجِعَ إلى أن تَضَعَ حَمْلَهَا ، فَلَمَّا وَضَعَتْ جاءته ، فَأَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ ، فَهَذَا حَدُّ الزِّنَا فِي الدُّنْيَا ، وَإِلَّا أُقِيمَ فِي الْآخِرَةِ .

فالزِّنَا ذَنْبُ عَظِيمٌ ، قَالَ اللَّـه تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ ، وَ قَالَ اللَّـه تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ ،من الْقُبْلَةَ وغيرها ، لأنّ هَذا كُلُّهُ زِنا .

وقد وَرَدَ فِي الْخَبَر: أنّ الْيَدَيْن تَزْنِيَانِ ، وَأنّ الْعَيْنَانِ تَزْنِيَان ، وأنّ الرِّجْلين تَزْنِيَانِ ، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْيُكَذِّبُهُ .

قَالَ اللَّـهُ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ ، يقُولُ : ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ ، يَعْنِي مَا كَبُرَ وَهُوَ الزِّنَا، وَمَا بَطَنَ يَعْنِي الْقُبْلَةَ ، وَاللَّمْسُ كُلُّهُ زِنًا، كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ : (أَنّ الْيَدَانِ تَزْنِيَانِ ، وَالْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ ، وأَنّ الرِّجْلين تزنيَانِ ، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْيُكَذِّبُهُ .

وَقَدْ حَرَّمَ اللَّـهُ الزِّنَا فِي مواضع كَثِيرَةٍ في كتابِهِ ، وكذلك فِي التَّوْرَاةِ ، وَالْإِنْجِيلِ ، لأنّهُ ذَنْبٌ عَظِيمٌ ، وَأَيُّ ذَنْبٍ أَكْبَرُ مِنْ هَتْكِ حُرْمَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَاخْتِلَاطِ الْأَنْسَابِ .

قَالَ بَعْضِ الصَّحَابَةِ : فِي الزِّنَا سِتَّ خِصَالٍ مذمومة : ثَلَاثَةً فِي الدُّنْيَا وَثلَاثَةً فِي الْآخِرَةِ ، وَأَمَّا الثلَاث فِي الدُّنْيَا ، فهي : نُقْصَانُ الْبَرَكَة من رِزْقِه ، و حرمانه مِنَ الْخَيْرَاتِ ، وَيَصِيرُ مبغوضاً فِي قُلُوبِ النَّاسِ ، وَ الَّتِي فِي الْآخِرَةِ : يبغضه اللَّـهُ تَعَالَى ، وَيُشَدّدُ عليه الْحِسَابِ ، وَالدُّخُولُ فِي النَّارِ .

و شَرُّ الزِّنَا مَا هُوَ مُصِرٌّ عَلَيْهِ ، وَهُوَ أن يُطَلِّقُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ، و يُقِيم مَعَهَا على الْحَرَامِ ، وَلَا يُقِرُّ عِنْدَ النَّاسِ بالطَّلَاقِ ، مَخَافَةَ الفضيحة ، ولا يهتم بفَضِيحتِهِ في الْآخِرَةِ ، يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ، فَاحْذَرُوا يا إخوان ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَتُوبُوا إِلَى اللَّـه تَعَالَى بِحِفْظِ الفُرُوجِ ، قَالَ اللّـهُ تَعَالَى : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ ، فالواجب

على كل مفرط أن يتوب إلى اللّـه تعالى ، من قبيح أفعاله ، ويندم على ما أرتكبه من فاحشة ، فمن مات مُصِّراً على القبيح ، افتضح يوم القيامة وعُذِّب بالنَّار .

وَقَدْ وَرَدَ عَنْ النَبِيِّ ﷺ ، أَنّهُ قَالَ : (ما ظَهَرَ الزِّنَا فِي قوْمٍ إلّا ابْتَلَاهُمُ اللَّـهُ بِالطَّاعُونِ) .

و قَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : إِذَا رَأَيْتُمُ السُّيُوفَ تجردت في قَوْمٍ ، وَالدِّمَاءَ قَدْ أُهْرِقَتْ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ حُكْمَ اللَّـهِ قَدْ طُبِّعَ فِيهِمْ ، فَانْتَقَمَ اللَّـهُ بِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ القطرَ قَدْ مُنِعَ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ النَّاسَ قَدْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ ، فَمَنَعَ اللَّـهُ تَعَالَى عَنْهُمْ مَا عِنْدَهُ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْوبَاء قَدْ فَشى ، فَاعْلَمُوا أَنَّ الزِّنَا قَدْ فَشَى ، والعياذة باللّـه عزّ وجلّ .

جاء في تنيه الغافلين ، عن عكرمة قال : سمعت كعباً يقول لابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : إِذَا رَأَيْتُمُ السُّيُوفَ قدْ تجرّدت ، وَالدِّمَاءَ قَدْ أُهْرِقَتْ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ حُكْمَ اللّـهِ قَدْ طُبِّعَ فِيهِمْ ، فَانْتَقَمَ اللّـه بِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ القطر قَدْ مُنِعَ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ النَّاسَ قَدْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ ، فَمَنَعَ اللَّـهُ تَعَالَى مَا عندهم مَا عِنْدَهُ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْوبَاء قَدْ تفشى ، فَاعْلَمُوا أَنَّ الزِّنَا قَدْ فَشَى .

البَابُ الثَّامِن وَالعِشْرُون

فيما جاء في الذنوب

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّـهِ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ ، يَقُولُ : (كَانَ فِيمَا أَعْطَى اللَّـهُ لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فِي اللَّوْحِ الْأَوَّلِ : يَا مُوسَى لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً ، فَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَتَلْفَحَنَّ وُجُوهَ الْمُشْرِكِينَ النَّارِ ، وَاشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ أَقِيكَ الْمَتَالِفَ ، وَأَنْسَى لَكَ فِي عُمْرِكَ ، وَأُحْيِيكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَا تَقْتُلِ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّـه إِلّا بالحَقِّ ، فَتَضِيقَ عَلَيْكَ الْأَرْضُ بِرَحْبِهَا ، وَالسَّمَاءُ بِأَقْطَارِهَا ، وَتَبُوءَ بِغَضَبِي فِي النَّارِ ، لَا تَحْلِفْ بِاسْمِي كَاذِباً ، فَإِنِّي لَا أُطَهِّرُ وَ أُزَكِّي مَنْ لَمْ يُنَزِّهْنِي ، وَلَمْ يُعَظِّمْ أَسْمَائِي ، وَلَا تَحْسُدِ النَّاسَ عَلَى مَا آتَيْتُهُمْ مِنْ فَضْلِي ، فَإِنَّ الْحَاسِدَ عَدُوٌّ لِنِعْمَتِي ، رَادٌّ لِقَضَائِي ، سَاخِطٌ لِقِسْمَتِي الَّتِي قَسَمْتُها بَيْنَ عِبَادِي ، وَمَنْ كَان كَذَلِكَ ، فَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ مِنِّي ، لَا تَشْهَدْ بِمَا لَا يَعِي سَمْعُكَ ، وَيَحْفَظُهُ عَقْلُكَ ، وَلَا يَعْقِدُ عَلَيْهِ قَلْبُكَ ، فَإِنِّي وَاقِفٌ أَهْلَ الشَّهَادَاتِ عَلَى شَهَادَاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَسْأَلُهُمْ عَنْهَا ، وَلَا تَسْرِقْ ، وَلَا تَزْنِ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ ، فَأَحْجُبُ عَنْكَ وَجْهِي ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَلَا تَذْبَح لِغَيْرِي فَإِنِّي لَا أقبل مِنَ الْقُرُبَاتِ ، إِلَّا مَا ذُكِرَ عَلَيْهِ اسْمِي ، وَكَانَ خَالِصاً لِوَجْهِي وَتَفَرَّغْ لِي يَوْمَ السَّبْتِ ، وَفَرِّغْ جَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِكَ) .

وَ رُوِيَ أن عُمَرَ بن الخَطّاب رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّـهِ صلى الله عليه وسلم : (الْبِرُّ لا يَبْلَى ، وَالْإِثْمُ لَا يُنْسَى ، وَالدَّيَّانُ لَا يفْنَى ، كُنْ كَمَا شِئْتَ ، فَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ) ، يَعْنِي إِنْ عَمِلْتَ خَيْراً وجدت ثَوَابَهُ ، وَإِنْ عَمِلْتَ شَرّاً وجدته يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

قَالَ اللَّـه تَعَالَى : ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾ ، يَعْنِي أَنَّ لا يَظْلِمُ أَحداً ، وَلَا يزاد على سيئاته ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْها .

وقيل في الخبر : إنّ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ لِخَمْسِ خِصَالٍ ، وَلَمْ تُقْبَلْ تَوْبَةُ إِبْلِيسَ لِخَمْسِ خِصَالٍ : فَآدَمُ أَقَرَّ عَلَى نَفْسِهِ بِالذَّنْبِ ، وَنَدِمَ عَلَيْهِ ، وَأَسْرَعَ بِالتَّوْبَةِ ، وَلَمْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّـهِ ، وَلَامَ نَفْسَهُ ، و رأى التَوْبَة واجبة ، وَإِبْلِيسُ لَمْ يعد يُقِرَّ بِالذَّنْبِ ، وَلَمْ يَنْدَمْ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَلُمْ نَفْسَهُ ، ولم ير التَوْبَة واجبة ، وَقَنَطَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّـه ، فَمَنْ كَانَ حَالُهُ مِثْلَ إِبْلِيسَ لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ .

وَ قَالَ كَهْمَس بْنِ الْحَسَنِ : أَذْنَبْتُ ذَنْباً ، وَأَنَا أَبْكِي عَلَيْهِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، قِيلَ : وَ مَا هُوَ يَا عَبْدَ اللَّـه ؟ ، قَالَ : زَارَنِي أَخٌ فِي اللَّـه ، فَاشْتَرَيْتُ لَهُ سَمَكاً ، فَأَكَلْنَا ، ثُمَّ قُمْتُ إِلَى حَائِطِ جَارِي ، فَأَخَذْتُ قِطْعَة طِينٍ مِنْهُ ، فَغَسَلنَا بِهَا أَيْدِينا .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِيَّاكَ وَالذَّنبَ ، فَإِنَّ الذَّنبَ شُؤْمٌ ، وَيَصِيرُ شُؤْمُهُ مثل حَجَرَ الْمَنْجَنِيقِ ، يَضْرِبُ حَائِطِ الطَّاعَةِ فَيَكْسِرُه ، فَيَدْخُلُ فيه رِيحُ الْهَوَى فَيُطْفِئُ سِرَاجَ الْمَعْرِفَةِ واليَقِينِ .

وَ قَالَ الْفَقِيهُ أَبو اللَّيْثِ : حدثني والدي عنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : (مَا فِي يَوْمِ إِلَّا وَيَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ خَمسةُ أمْلاكٍ ، أَحَدُهُمْ بِمَكَّةَ ، وَالثَّانِي بِالْمَدِينَةِ ، وَالثَّالِثُ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَالرَّابِعُ بِمَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْخَامِسُ بِأَسْوَاقِهم ، فَأَمَّا الَّذِي بِمَكَّةَ فَيُنَادِي : أَلَا مَنْ تَرَكَ فَرَائِضَ اللَّـه ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ أمانِ اللَّـه ، وَأَمَّا الَّذِي بِالْمَدِينَةِ فَيُنَادِي : أَلَا مَنْ تَرَكَ سُنة رَسُول اللَّـه ﷺ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ شَفَاعَتِهِ ، وَأَمَّا الَّذِي بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَيُنَادِي أَلَا مَنِ كَسَبَ مَالاً حَرَاماً ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّـه شَيْئَاً من عَمَلِهِ ، وَأَمَّا الَّذِي بِمَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَيُنَادِي : يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ مَاذَا تَغْتَبِطُونَ ؟ ، وَعَلَى مَاذَا تَنْدَمُونَ ؟ ، فَيَقُولُونَ : نَدَامَتُنَا عَلَى مَا فَاتَنا مِنْ أَعْمَارِنَا ، و وغبطتنا بأعمال الخير ، وَنَحْنُ لَا نَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَمَّا الَّذِي فِي الْأَسْوَاقِ ، فَيُنَادِي : يَا مَعْشَرَ النَّاسِ مَهْلاً مَهْلاً ، فَإِنَّ لِلَّـهِ سَطْوَاتٍ وَنِقْمَاتٍ ، فَمَنْ خَشِيَ من سَطْوَاتَهِ ، فَلْيَتُبْ مِنْ ذُنُوبِهِ ، ويرجع عن عُيُوبِهِ ، شَوَّقْنَاكُمْ فَلَمْ تَشْتَاقُوا ، وَخَوَّفْنَاكُمْ فَلَمْ تَخَافُوا ، و لَوْلَا رِجَالاً خُشَّعٌ ، وأطفالٌ رُضَّعٌ ، وَبَهَائِمُ رُتَّعٌ ، لَصُبَّ عَلَيْكُمُ البَلاءُ صَبّاً .

الباب التاسع والعشرون
في الزجر عن الغيبة والنميمة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ : (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟) ، قَالُوا : اللّـهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : (الْغِيبَة ذِكْرُك أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ) ، قِيلَ لهُ : إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ ، قَالَ : (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ) ، يَعْنِي قُلْتَ فِيهِ بُهْتَاناً .

وَ ذَكَر بَعْض الْعُلَمَاء : لَوْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّ فُلَانًا ثَوْبُهُ طَوِيلٌ أَوْ قَصِيرٌ فذلِك غِيبَة ، ، فَكَيْفَ ذِكْرُك نَفْسه .

وَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ : (لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ ، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ يُقْطَّعُ اللَّحْمُ مِنْ جُنُوبِهِمْ ، ثُمَّ يُلْقَمُونَهُ ، وَ يُقَالُ لَهُمْ : كُلُوا مَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ مِنْ لحوم النَّاسِ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ ، فَقَالَ : هَؤُلَاء الْهَمَّازُونَ اللَّمَّازُونَ مِنْ أُمَّتِكَ ، الذين يَغْتَابُونَ النَّاس) .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : النَّمَّامُ شَرٌّ مِنَ السَّاحِرِ ، لأَنّ النَّمَّام يَعْمَلُ النَّمَّامُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدة ، مَا لَا يَعْمَلُ السَّاحِرُ فِي شُهُورٍ .

وَ رَوَى جَابِر بنْ عَبد اللّـه رضي الله عنه ، قَالَ : يَا رَسُول اللّـه ما هذه الريح ؟ ، فَقَال : إن أُناساً من المنافقين اغتابوا المؤمنين فلذلك هاجت .

و قَالَ سُفْيَانُ : الظَّنُّ ظَنَّانُ : ظَنٌّ فِيهِ إِثْمٌ ، وَظَنٌّ لَيْسَ فِيهِ إِثْم ، فَأَمَّا الظَّنُّ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِثْمٌ ، فهو أن يظن ولَا يَتكَلَّمُ بِشئ ، وَأَمَّا الظَّنُّ الَّذِي فِيهِ إِثْمٌ فهُوَ يظَنّ و يَتكَلَّمُ في حق المظنون بالسوء ، وأما قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ فمعناه لَا تَطْلُبُوا عُيُوبَ أَحَد ، ﴿وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ ، يَعْنِي كَمَا كَرِهْتُمْ أَكْلَ لَحْمِهِ مَيْتاً ، فَكَذَلِكَ اجْتَنِبُوا ذِكْرَهُ بِالسُّوءِ وهو غَائِب).

وَ قَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُما ، نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةِ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي بعضِ الأسفارِ ، ضَمَّ مَعَ رَجُلَيْنِ غَنِيَّيْنِ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ غير ذات اليد ، لِيُصِيبَ مَعَهُمَا في طَعَامِهِمَا ، وَيَتقَدَّمَهُمَا فِي الْمَنَازِلِ ، فَيُهَيِّئَ لَهُمَا الْمَنْزِلَ ، وَمَا يَصْلحهُمَا ، وَكَانَ قَدْ ضَمَّ سَلْمَانَ الفارسي إِلَى رَجُلَيْنِ ، فَنَزَلَا منزلاً مِنَ الْمَنَازِلِ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَلَمْ يُهَيِّئْ لَهُمَا شيئاً ، فَقَالَ لَهُ : انْطَلَق إِلَى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ ، فَأَسَأْل لنا فَضْلَ إِدَامٍ ، فَانطَلَق ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ حِينَ غَابَ عَنْهُمَا : لَوِ انْتَهَى إِلَى بِئْرٍ كَذَا لَقَلَّ الْمَاءُ ، فَلَمَّا انْتَهى إِلَى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ ، وَبَلَّغَهُ الرِّسَالَةَ ، فقَالَ لهُ : (قُلْ لَهُمَا قَدْ أَكَلْتُمَا) ، فَأَتَاهُمَا فَأَبْلغهُمَا ، فَقَالَا : لم نطعم ، وأَتيَا رَسُول اللَّـهِ ﷺ ، فَقَالَ : (إِنِّي أَرَى حُمْرَةَ اللَّحْمِ فِي أَفْوَاهِكُمَا) ، فَقَالَا : لَمْ نطعم منذ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ: (إِنَّكُمَا اغْتَبْتُمَا

صَاحِبكُمَا أتختاران أَنْ تَأْكُلا لحماً مَيّتاً) فَقَالَا : لا ، فقَالَ : (كَمَا كَرِهْتُمَا أَنْ تَأْكُلا لحْمهُ فَلَا تَغْتَابَاهُ ، فَإِنَّهُ مَنِ اغْتَابَ أَخَاهُ فَقَدْ أَكَلَ لحْمَهُ) .

قَالَ رَجُل للْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ : إِنَّ فُلَاناً قَدِ اغْتَابَكَ ، فَبَعَثَ الْحَسَن إِلَيْهِ بطَبَق مِنَ الرُّطَبِ ، وقَالَ لَهُ : بَلَغَنِي أَنَّكَ أَهْدَيْتَ لِي شَيْئاً مِنْ حَسَنَاتِكَ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُكَافِئَكَ ، فَاعْذُرْنِي ، فَإِنِّي لَمْ أَقْدِرُ أَنْ أُكَافِئَكَ .

قال الْفَقِيهُ أَبُو اللَّيْثِ : سَمِعْتُ والدي رحمه اللّـه يقول : إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا من الْمُرْسَلِينَ ، كَانَ بَعْضَهُمْ يوصى اللّـه فِي الْمَنَامِ ، وَبَعْضُهُمْ يَسْمَعُ صَوْتاً وَلَا يَرَى شَخْصاً ، وَ أَنَّ نَبِيّاً كَان مِنْ الّذين يَرُونَ فِي الْمَنَامِ ، رَأَى لَيْلَةً فِي الْمَنَامِ ، قَائِلًا يَقُولُ : إِذَا أَصبَحْتَ فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَسْتَقْبِلُك فَكُلَهُ ، وَالثَّانِي اكْتُمْهُ ، وَالثَّالِثُ اقْبَلْهُ ، وَالرَّابِعُ فلَا تُؤَيِّسْهُ ، وَالْخَامِسُ اهْرِبْ مِنْهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَوَّلُ شَيْءٍ اسْتَقْبَلَهُ جبَلٌ أَسْوَدُ عَظِيمٌ ، فَوَقَفَ وَتَحَيَّرَ ، وَقَالَ : رَبِّي قد أَمَرَنِي بأكلِ هَذَا ؟ ، وَ لَا أُطِيقُ أكله ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَ قَالَ : إن اللّـه تعالى لا يأمرني بما لا أطيق ، فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى أَكْلِهِ وَمَشَى علَيْهِ لِيَأْكُلَهُ ، وقرّب منه ، وَجَدَهُ لُقْمَةً أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، فَأَكَلَها وَحَمِدَ اللَّـهَ تَعَالَى ، وَمَضَى فَاسْتَقْبَلَهُ طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ : إنّ ربي قد أُمرنِي بَكْتمِهِ ، فَحفَرَ لهُ وَ دَفَنَهُ وَمَضَى ، فَإِذَا الطَّسْتُ على وجهِ الْأَرْضِ ، فنظر إليه ، وَقَالَ: صَنَعْتُ مَا أُمِرْتُ بِهِ ، وَمَضَى فَاسْتَقْبَلَهُ طَائِرٌ خَلْفَهُ بَازٌ يُرِيدُ أَخْذَهُ ، فقَالَ الطَائِر : يَا نَبِيَّ اللّـهِ

أَغِثْنِي ، فَأَخذَهُ ، وَقَبلَهُ وَ وَضَعهُ فِي كُمِّهِ ، فَقَالَ الْبَازُ : يَا نَبِيَّ اللَّـه إِنِّي جَائِعٌ ، وَ أَطْلب هَذَا الصَّيْدِ مُنْذُ كذا وكذا ، فلما قدمت عليه هرب مني إليك ، فلا تمنعني فَلَا يُؤَيِّسْنِي مِنْ رِزْقِي ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَقْبَلَ الثَّالِثَ ، وَلَا آوي الرَّابِع وهو هذا الْبَازُّ ، فَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟ ، فتحرى في أمره ، ثمّ أَخَذَ السِّكِّينَ فَقَطَعَ لحمٌ مِنْ فَخْذِه هو و رَمَى بِهَا إِلَى الْبَازِّ ، فَأَخَذَهَا وَمَضَى فَرَأَى جِيفَةً نتنة ، فَهَرَبَ منها ، فَلَمَّا أَمْسَى ، قَالَ : اللّهُمّ إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ الذي قَدْ أَمَرْتَنِي بِهِ ، فَبَيِّنْ لِي هَذاَ الأَمر مَا هُوَ ، فلما نَامَ قِيلَ لَهُ : أَمَّا الْأَوَّل : الَّذِي أَكَلْتَهُ فَهُوَ الْغَضَبُ ، يَكُونُ أَوَّله كَالْجَبَلِ ، فَإِذَا صَبَرَ الرّجُل وَكَظَمَ غَيْظَهُ صَارَ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَمَّا الثَّانِي : الخير ، لابُدّ يَظْهَر ، وإن كتمه فاعله ، وَأَمَّا الثَّالِثُ : فَمَنِ ائْتَمَنَكَ فَلَا تَخُنْهُ ، وَأَمَّا الرَّابِعُ : إِنْ سَأَلَكَ أحدٌ حَاجَةً ، فَاجْتَهِدْ فِي قَضَائِهَا ، وَإِنْ كُنْتَ مُحْتَاجاً إِلَيْهَا ، وَأَمَّا الْخَامِسة : فَهِي الْغِيبَةُ فَاهْرَبْ مِنَ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ النّاس .

الباب الثلاثون
في أحاديث منقولة
من أبواب الكتاب المحذوفة

عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ الْحَكَمِ السُّلَمِيَّةِ ، أَنّ رَسُول اللَّـهِ ﷺ ، قَالَ : (الْمَرِيضُ ضَيْفُ اللَّـه مَا دَامَ فِي مَرَضِهِ ، يَرْفَعُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ عَمَلَ سَبْعِينَ شَهِيداً ، فَإِنْ عَافَاهُ اللَّـه مِنْ مَرَضِهِ ، فَهُوَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَإِنْ قَضَى عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ ، أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ ، وَالْمُؤَذِّنُ حَاجِبُ اللَّـه يُعْطَيه بِكُلِّ أَذَانٍ ، ثَوَابَ أَلْفِ نَبِيٍّ ، وَالْإِمَامُ وَزِيرُ اللَّـه يُعْطَى بِكُلِّ صَلَاةٍ ثَوَابَ أَلْفِ صِدِّيقٍ ، وَالْعَالِمُ وَكِيلُ اللَّـه يُعْطَى بِكُلِّ حَدِيثٍ نُوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالْمُتَعَلِّمُونَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ خَدَمُ اللَّـه تَعَالَى فَمَا جَزَاؤُهُمْ إِلَّا الْجَنَّةُ) .

وَ قِيلَ : مَنْ دَاوَمَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي الْجَمَاعَةِ ، أَعْطَاهُ اللَّـه خَمْسَ خِصَالٍ : رُفِعَ عَنْهُ ضِيقَ الْعَيْشِ ، وَ عَذَابَ الْقَبْرِ ، وَأُعْطِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، وَمَرّ عَلَى الصِّرَاطِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ ، وَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَمَنْ تَهَاوَنَ فِي الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ ، عَاقَبَهُ اللَّـه بِاثْنَتَيْ عَشْرَ عقوبةٍ : ثَلَاث فِي الدُّنْيَا ، وَثَلَاث فِي الآخرة ، وَثَلَاث عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَثَلَاث فِي الْقَبْرِ ، فَأَمَّا الَّتِي فِي الدُّنْيَا : فتُرْفَعُ الْبَرَكَةُ مِنْ رِزْقِهِ ، وَ تُنْزَعُ سِمَات الصالحين مِنْ وَجْهِهِ ، ويكون مَبْغُوضاً عِنْد النَّاسِ ، وَأَمَّا الَّتِي فِي الآخرة : فَيُشَدَّدُ حِسَابِهِ ، وَ يغْضَبُ عَلَيْهِ الرَّبُّ جلّ جلاله ، وَيُعَاقبه بِعَذَابِ النَّارِ ، وَأَمَّا الَّتِي عِنْدَ الْمَوْتِ : فَتُقْبَضُ

رُوحُهُ عَطْشَاناً جَائِعاً ، وَيَشْتَدُّ نَزْعُهُ ، وَأَمَّا الَّتِي فِي الْقَبْرِ : فَسُؤَال مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ، وَظُلْمَةُ الْقَبْرِ وَضِيقُهُ ، وقد روى عن أبي ذر مثل هذا .

و عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﵁ ، قَالَ : مَاتَ ابْنٌ لِي ، فَكَتَبَ إِلَيَّ رَسُول اللَّـه ﷺ : (مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّـه ﷺ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : سَلَامٌ عَلَيْكَ ، و بَعْدُ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّـه الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَعَظَّمَ اللَّـه لَكَ الْأَجْرَ ، وَأَلْهَمَكَ الصَّبْرَ ، وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكُمْ الشُّكْرَ ، ثُمَّ اعلمْ إِنَّ أَنْفُسنَا وَأَموَالنَا وَأَوْلَادنَا ، مِنْ مَوَاهِبِ اللَّـه الْهَنِيّة ، وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ ، يُمَتِّعُنا بِهَا إِلَى أَجَلٍ مَحْدُودٍ ، يَقْبِضُهَا لِوَقْتٍ مَعْلُومٍ ، ثُمَّ افْتَرَضَ عَلَيْنَا الشُّكْرَ إِذَا أَعْطَى ، وَالصَّبْرَ إِذَا ابْتَلَى ، وَكَانَ ابْنُكَ هَذَا مِنْ مَوَاهِبِ اللَّـه الْهَنِيّةِ ، وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ ، مَتَّعَكَ اللَّـه بِهِ غِبْطَةٍ وَسُرُوراً ، وَقَبَضَهُ بِأَجْرٍ كَبِيرٍ ، إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ ، فَلَا تَجْمَعَنَّ عَلَيْكَ يَا مُعَاذُ أَنْ يَحْبَطَ أَجْرَكَ جَزَعُكَ ، فَتَنْدَمَ صبرت عَلَى مَا فَاتَكَ ، لَوْ قَدِمْتَ عَلَى ثَوَابِ مُصِيبَتِكَ ، عَلِمْتَ أَنَّ الْمُصِيبَةَ قَصُرَتْ عَنْك ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْجَزَعَ لَا يَرُدُّ مَيِّتاً ، وَلَا يَرْفَعُ حُزْناً ، فَلْيَذْهَبْ عَنْكَ أَسَفُكَ ، بِمَا هُوَ نَازِلٌ بِكَ ، فَكَأَنَّه قَدْ نَزَلَ بِكَ ، وَالسَّلَامُ) .

وَ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: (لَوْ صَلَّيْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْحَنَايَا ، وَصُمْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْأَوْتَارِ ، لَمْ يَنْفَعُكُمْ إِلَّا بِوَرَعٍ صَادِقٍ) .

وقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، تَهَاوَنُوا فِي الدُّنْيَا تَهُنْ عَلَيْكُمْ ، وَلَا تَهَاوَنُوا بِالْآخِرَةَ ، تُكْرَمْ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا ، الدُّنْيَا هِيَ لَيْسَتْ بِدَارِ كَرَامَةٍ ، وَ تَدْعُو كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْفِتْنَةِ وَالْخَسَارَةِ ، و إِنْ كُنْتُمْ جُلَسَائِي وَأَصْحَابِي ، فَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى بُغْضِ الدُّنْيَا ، وَاتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتاً ، وَالْقُبُورَ دُوراً ، وَكُونُوا كَالطَيرِ ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّها لا تحصد ولا تزرع ، وَ اللَّـه يَرْزُقها ، يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ كُلُوا مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ ، وَ بُقُولِ الْأَرْضِ ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تُؤَدُّوا شُكْرَ ذَلِكَ ، فَكَيْفَ مَا فَوْقهِ .

وَ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : (عُرِضَتْ عَلَيَّ الذُّنُوبُ ، فَلَمْ أَرَ فِيهَا سَيِّئاً أَعْظَمَ مِنْ حَامِلِ الْقُرْآنِ وَتَارِكِهِ) .

وعَنِ عبد اللَّـه بْنِ عُمَرَ ، أَنّه قَالَ : شَهِدْتُ رَسُول اللَّـه ﷺ ، قدْ أَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّـه ، قَلَّتْ ذَاتُ يَدِي ، وتوالت الدنيا عني ، قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ تَسْبِيحِ الْمَلَائِكَة ، وَ صَلَاةِ الْخَلَائِقِ ، وَمَا بِهِ يُرْزَقُونَ ، قَالَ : وَ مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّـه ؟ ، قَالَ : (قُلْ سُبْحَانَ اللَّـه الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّـه ، اسْتَغْفِرِ اللَّـه «مِائَةَ مَرَّةٍ» ، مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى أَنْ تُصَلِّيَ الصُّبْحِ ، تَأْتِيكَ الدُّنْيَا صَاغِرَةً رَاغِمَةً) .

و قَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ ، فِي بعض مواعظه : مَنْ أَبْصَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ ، اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ، وَمَنْ تَعَرَّى فِي لِبَاسِ التَّقْوَى لَمْ يَسْتَتِرْ بِشَيْءٍ ، وَمَنْ

رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّـه ، لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ ، وَمَنْ سَلَّ سَيفَ الْبَغْيِ ، قَطَعَ بِهِ يَدَهُ ، وَمَنِ حفر لِأَخِيهِ بِئراً ، تَرَدّى فِيهَا ، وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَ أَخِيهِ ، انْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ ، وَمَنْ نَسِيَ ذلّ نَفْسِهِ ، اسْتَعْظَمَ ذلّة غَيْرِهِ ، وَمَنْ كَابَدَ العظائم عَطِبَ ، وَمَنْ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ هَلَكَ ، وَمَنِ اسْتَغْنَى بِعَقْلِهِ ذلّ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ ، وَمَنْ سَفِهَ عَلَيْهِمْ شُتِمَ ، وَمَنْ صَاحَبَ الْأَرْزَالَ أُحْتُقِرَ ، وَمَنْ جَالَسَ الْعُلَمَاءَ وُقِّرَ ، وَمَنْ دَخَلَ مَدْخَلَ السُّوءِ اتُّهِمَ ، وَمَنْ مَزَحَ أُسْتُخِفَ بِهِ ، وَمَنْ تَعمَّقَ فِي الْعَمَلِ مَلَّ ، وَمَنْ فَخَرَ عَلَى النَّاسِ قُصِمَ ، وَمَنْ أَكْثَر مِنْ شَيءٍ عُرِفَ بِهِ ، ومن كثر كلامه كثر أخطاؤه ، ومن كثر أخطاؤه ، قلّ حياؤه ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه ، ومن قلّ ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النَّار ، وَمَنْ تهَاوَنَ بِالدِّينِ ارْتَطَمَ ، وَمَنِ اغْتَنَمَ أَمْوَالَ النَّاسِ افْتَقَرَ ، وَمَنِ طَلَبَ الْعَافِيَةَ صَبَرَ ، وَمَنْ جهِلَ مَوْضِعَ قَدَمِهِ مَشَتْ فِي نَدَامَتِهِ ، وَمَنْ خَشِيَ اللَّـه فَازَ ، وَمَنْ لَمْ يُجَرِّبِ الْأُمُورَ خُدِعَ ، وَمَنْ صَارَعَ أَهْلَ الْحَقِّ صُرِعَ ، وَمَنِ احْتَمَلَ مَا لَا يُطِيقُهُ عَجَزَ ، وَمَنْ عَرَفَ أَجَلَهُ قَصّرَهُ اللَّـه ، وَمَنْ تَعَوَّدَ طَرِيقَ الْجَهْلِ تَرَكَ طَرِيقَ الحَقِّ .

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـه صلى الله عليه وسلم: (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟) ، قَالُوا : مَنْ لَا دِينَارَ عِنْدهُ وَ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، قَالَ : (إِنَّمَا الْمُفْلِسُ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَ زَكَاةٍ ، وَيَأْتِي و قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ،

وَضَرَبَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، وَ طُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُطرحَ فِي النَّارِ) .

و عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّـه ﷺ ، قَالَ: (أَلَا أَدُلّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ : الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَقِيَامُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يُطْفِئُ خَطِيئَتَهُ) ، وَ هُوَ يُوصِينا بِمِنًى : (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقٌّ ، وَ إِنَّ لَهُنّ عَلَيْكُمْ حَقٌّ ، وَإِنَّ لـهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقٌّ : وإِنّ حَقهُنّ عَلَيْكُمُ الْكُسْوَةُ وَالنَّفَقَةُ بِالْمَعْرُوفِ ، وإن في حقكم عليهن : أَنْ يَحْفَظْنَ فراشكُمْ ، وَلَا يَأْذَنن فِي بُيُوتِكُمْ لِأَحَدٍ تكرَهُونَهُ ، وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، فَإِنْ هُنَّ فَعَلْنَ ، فقدْ حَلَّ لَكُمْ أَنْ تَضرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ) .

وَ رَوَى الحَسَن عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : (أَفْضَلُ النَّاسِ عِنْدَ اللَّـه يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوَاباً ، أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَإِنَّ الْمُقَرَّبِين عِنْدَ اللَّـه تَعَالَى الصَّالِحُون) .

وَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّـه بْنِ عُمَيْرٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّـه ﷺ : (مَا ازْدَادَ أَحَدٌ مِنَ السَّلَاطِينِ قُرْباً ، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللَّـه بُعْداً ، وَلَا كثرت أتباعه ، إِلّا كَثُرَتْ شَيَاطِينُهُ ، وَلَا كَثُرَ مَالُهُ ، إِلَّا اشْتَدَّ حِسَابُهُ) .

وَ رَوَى عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّـه ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ: (الْمُؤْمِنُ بَيْنَ خَمْسِ شَدَائِدَ : مُؤْمِنٍ يَحْسُدُهُ ، وَمُنَافِقٍ يُبْغِضُهُ ، وَعَدُوٍّ يُقَاتِلُهُ ، وَشَيْطَانٍ يُضِلُّهُ

، وَنَفْسٍ تُغْوِيهِ) ، فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِاللَّـه تَعَالَى لِيُقَوِّيَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ ، ويتشفع للمعونة للّـه تعالى بصدق النية ، وملازمة التقوى ، فأصل ذلك كله تحقيق النية ، و لزوم المعونة ، و إلتزام الخشوع ، و خوف اللَّـه تعالى .

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : (مَا زَالَ جِبْرِيل يُوصِينِي بِالسِّوَاكِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سينزل على فِيهِ شيء ، وَ مَا زَالَ يُوصِينِي عَلَى الْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ ، وَ مَا زَالَ يُوصِينِي بِالنِّسَاءِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سيُحَرِّمُ الطَّلَاقَ ، وَ مَا زَالَ يُوصِينِي بِالْمَمَالِيكِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَجْعَل لَهُ وَقْتًا ، وَ مَا زَالَ يُوصِينِي باليتيمِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لا أمسي لا أصبح إلا معه ، وَ مَا زَالَ يُوصِينِي بالضيفِ ، وَ مَا زَالَ يُوصِينِي بصلة الرحم ، وَ مَا زَالَ يُوصِينِي ببر الوالدين ، وَ مَا زَالَ يُوصِينِي بالمساكين والفقراء وأبناء السبيل) .

وَ عَنْ علي بن أبي طلحة رضي الله عنه ، قَالَ: نَزَلَتْ سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ ، فِي مَرِضِ رَسُول اللَّـه ﷺ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ خَرَجَ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَقَدْ شَدَّ رَأْسَهُ بِعِصَابَةٍ ، فَرَقِيَ الْمِنْبَرَ وَجَلَسَ ، مُصْفَرَّ الْوَجْهِ ، تَدْمَعُ عَيْنَاهُ ، فَدَعَا بِلَال ، وَأَمَرَهُ بِأَنْ يُنَادِي أهل الْمَدِينَةِ ، أَنِ يَجْتَمِعُوا لِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّـه ﷺ ، فَإِنَّهَا آخِرُ وَصِيَّةٍ لَكُمْ ، فَاجْتَمَعَ كَبِيرُهُمْ وَ صَغِيرُهُمْ ، وَتَرَكُوا أَبْوَابَ بُيُوتِهِمْ مُفَتَّحَةً ، وَأَسْوَاقَهُمْ عَلَى حَالِهَا ، حَتَّى خَرَجَتِ الْعَذَارَى مِنْ خُدُورِهِنَّ ، لِيَسْمَعُوا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّـه ﷺ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَبْكِي وَيَسْتَرْجِعُ ،

فَحمِدَ اللَّـه تَعالَى ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، و عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَ عَلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : (أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّـه بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ الْعَرَبِيُّ ، الَّذِي لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ نَفْسِي قَدْ نُعِيَتْ إِلَيّ ، وَحَانَ فِرَاقِي مِنَ الدُّنْيَا ، وَاشْتَقْتُ إِلَى رَبِّي ، وَاحَسْرَتَاهُ عَلَى فِرَاقِ أُمَّتِي ، ومَا يَقُولُونَ من بَعْدِي ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَصِيَّتِي لَكُمْ و اوْعُوهَا وَاحْفَظُوهَا ، وليَبَلِّغ الشّاهِد الغَائِب ، لأنها آخر وَصِيَّتِي لَكُمْ ، وَمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ، وَمَا تَأْتُونَ ، وَمَا تَنْفقُونَ ، فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ ، وَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ) ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ : (أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، إِيَّاكُمْ وَ الْأَهْوَاءَ الضَّالَةَ الْمُضِلَّةَ الْبَعِيدَةَ مِنَ اللَّـه ، الْبَعِيدَةَ مِنَ الْجَنَّةِ ، الْقَرِيبَةَ مِنَ النَّارِ ، وعليكم بالجماعة والاستقامة ، فإنها قَرِيبَةٌ مِنَ اللَّـه ، قَرِيبَةٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، بَعِيدَةٌ مِنَ النَّارِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ، ثمّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اللَّـه اللَّـه فِي دِينِكُمْ وَأَمَانَاتِكُمْ ، اللَّـه اللَّـه فِي مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ فِي العَمَلِ مَا لَا يُطِيقُونَ ، فَإِنَّهُمْ لَحْمٌ وَدَمٌ ، وَخَلْقٌ أَمْثَالُكُمْ ، أَلَا مَنْ ظَلَمَ ، فَأَنَا خَصِيمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَ اللَّـه الحَاكِمِ ، اللَّـه اللَّـه أَيُّهَا النَّاسُ فِي نِسَائِكُمْ أَوْفُوهُنّ مُهُورَهُنَّ ، وَلَا تَظْلِمُوهُنَّ ، فَيَأْخُذْنَ مِنْكُمْ حَسَنَاتِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ ، أَيُّهَا النَّاسُ: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ ، وَعَلِّمُوهُمْ ، وَأَدِّبُوهُمْ ، فَإِنَّهُمْ عِنْدَكُمْ

عَوَانٌ وَأَمَانَةٌ ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ ، أَيُّهَا النَّاسُ أَطِيعُوا وُلاةَ أُمُورِكُمْ ، وَلا تَعْصُوهُمْ ، وَإِنْ كَانَ عَبْداً حَبَشِيّاً مُجَدَّعاً ، فَإِنَّهُ مَنْ أَطَاعَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّـه ، وَمَنْ عَصَاهُمْ فَقَدْ عَصَانِي ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّـه ، أَلا لَا تَخْرُجُوا عَلَيْهِمْ ، وَلا تَنْقُضُوا عُهُوداً ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ ، أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِحُبِّ أَهْلِ بَيْتِي ، عَلَيْكُمْ بِحُبِّ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ، عَلَيْكُمْ بِحُبِّ عُلَمَائِكُمْ لَا تُبْغِضُوهُمْ ، وَلا تَحْسُدُوهُمْ ، وَلا تطْغوا فِيهِمْ ، أَلا مَنْ أَحَبَّهُمْ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّـه ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّـه ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ ، أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، بِإِسْبَاغِ وَضُوئِهَا ، وَإِتْمَامِ رُكُوعِهَا ، وَسُجُودِهَا ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ ، أَيُّهَا النَّاسُ أَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ ، أَلا مَنْ لَا يُؤَدِّيها فَلا صَلَاةَ لَهُ ، وَلا دِينَ لَهُ ، وَلا صَوْمَ لَهُ ، وَلا جِهَادَ لَهُ ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ) ، ثُمَّ قَالَ : (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّـه قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ ، عَلَى مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيَمُتْ عَلَى أَيِّ حَالٍ شَاءَ ، يَهُودِيّاً ، أَوْ نَصْرَانِيّاً ، أَوْ مَجُوسِيّاً ، إِلَّا من خاف مَرَضاً ، أَوْ سُلْطَاناً جَائِر ، أَلا لا نَصِيبَ لَهُ فِي شَفَاعَتِي ، وَلا يَرِدُ حَوْضِي ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّـه جَامِعُكُمْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فِي مَقَامٍ عَظِيمٍ ، وَهُوَلٍ شَدِيدٍ ، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، احْفَظُوا أَلْسِنَتَكُمْ ، وَأَبْكُوا أَعْيُنَكُمْ ،

وَأَخْضِعُوا قُلُوبَكُمْ ، وَأَتْعِبُوا أَبْدَانَكُمْ ، وَجَاهِدُوا عَدُوكُمْ ، وَاعْمِرُوا مَسَاجِدَكُمْ ، وَأَخْلِصُوا إِيمَانَكُمْ ، وَانْصَحُوا إِخْوَانَكُمْ ، وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ ، وَتَصَدَّقُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ ، وَلَا تَحَاسَدُوا فَتَذْهَبَ حَسَنَاتُكُمْ ، وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَتَهْلِكُوا ، اللَّهُمَّ قَدْ بَلَّغْتُ) ، ثُمَّ قَالَ : (أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْعَوْا فِي فِكَاكِ رِقَابِكُمْ ، وَاعْمَلُوا الْخَيْرَ لِيَوْمِ فَقْرِكُمْ وَفَاقَتِكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَظْلِمُوا فَإِنَّ اللَّـه هُوَ طَالِبٌ لِمَنْ جَارَ ، وَمُحَاسِبُكُمْ ، وَإِلَيْهِ إِيَابُكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا يَرْضَى مِنْكُمْ بِالْمَعْصِيَةِ ، أَيُّهَا النَّاسُ ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ، ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَادِمٌ إِلَى رَبِّي ، وَقَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي ، وَأَسْتَوْدِعُ اللَّـه دِينَكُمْ وَأَمَانَاتِكُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ مَعْشَرَ أَصْحَابِي ، وَعَلَى جَمِيعِ أُمَّتِي ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّـه وَبَرَكَاتُهُ ، ثُمَّ نَزَلَ من على المنبر ، وَ دَخَلَ إِلَى مَنْزِلِه ، وَ لَمْ يَخْرُج بَعْدهَا أَبداً ، صَلَّى اللَّـه عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَ أَصْحَابِهِ وأزواجه وذريته ، بقدر عظمة ذاته ، والحمد لله على التمام والكمال .

وأختم الكتاب بكفارة المجلس كما في الحديث ، وهي : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي ، فَاغْفِرْ لِي ، إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ (ثلاثاً) .

فهرس كتاب الوعظ الثمين